فضل الحج والعمرة

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الحج والعمرة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ ٧٠ ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضل الحج والعمرة

أولًا: فضل الحج:

١- الحج أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام.
٢- من حج بيت الله الحرام فقد كمل إسلامه.
٣- الحج والعمرة جهاد الكبير والمرأة والضعيف.
٤- الحج من أفضل الأعمال عند الله- تعالى-.
٥- أجر الحج والعمرة على قدر التعب والنفقة.
٦- الحجاج والعمار وفد الله.
٧- من خرج حاجًا فهو في ضمان الله.

فضل وثواب من خرج حاجًا أو معتمرًا فمات:

فضل التلبية:

فضل الطواف بالبيت الحرام:

أ- الطواف حول الكعبة كالصلاة.
ب- الطواف بالبيت الحرام كعتق رقبة.
جـ - الطواف بالبيت الحرام يكفر الله به السيئات، ويكتب به الحسنات، ويرفع به الدرجات.

فضل {الحجر الأسود- الركن اليماني-المقام- الحِجْر- المُلْتَزَم- ماء زمزم}

أولا: فضل الحجر الأسود:

١- أنه حجر من الجنة.
٢- الحجر يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق.
٣- مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًّا.

ثانيًا: فضل الرُّكن اليماني:

١- والركن اليماني يشهد لمن استلمه:
٢- واستلام الركن اليماني يحط الخطايا حطًّا:

ثالثًا: فضل مقام إبراهيم:

أ- أمر الله باتخاذه مصلى لمن طاف بيته الحرام.
ب- المقام مكان نداء إبراهيم بالحج.

رابعًا: فضل الحِجْر:

خامسًا: فضل المُلْتَزَم:

سادسًا: فضل ماء زمزم:

١- ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض.
٢- ماء زمزم مباركة.
٣- ماء زمزم لما شرب له.
٤ - ماء زمزم طعام طعم.
٥- ماء زمزم شفاء سقم.
٦- التضلع من ماء زمزم مفارقة عن المنافقين.
٧- ماء زمزم غسل بها قلب النبي ﷺ.
٨- ماء زمزم يتحف به الضيفان، ويحمله الركبان.

فضل سقاية الحجاج:

فضل الهَدْى في يوم النحر:

فضل من وقف بعرفة حاجًا:

١- يوم عرفة أقسم الله به، وكفي بهذا الشرف.

٢- يوم عرفة، هو اليوم الذي أخرج الله من ظهر آدم ذريته، وأخذ عليهم الميثاق.

٣- يوم عرفة أكمل الله لنا فيه الدين.

٤- يوم عرفة هو أثقل وأشد الأيام على الشيطان.

٥- صيام يوم عرفة (لغير الحاج) يكفر الله به سنتين، سنة قبله وسنة بعده.

٦- الله- تعالى- يباهى بأهل عرفات الملائكة.

٧- وأفضل الدعاء دعاء الحجاج يوم عرفة.

فضل رمي الجمار:

١- إتباع ملة إبراهيم- عليه السلام- وتبرؤ من الشيطان وذلك برجمه.

٢- كل حصاة يرميها الحاج تكفر كبيرة من الموبقات.

٣- له بكل حصاة نور يعطاه يوم القيامة.

٤- رمى الجمار مدخور للعبد عند الله- تعالى- يجد ثوابه يوم القيامة.

فضل وثواب حلق الرأس:

١- الحاج أو المعتمر يعطى بكل شعرة حلقها حسنة، ويمحى عنه بها خطيئة، وله بكل شعرة نور يوم القيامة.

٢- كل شعرة تقع من الحاج أو المعتمر على الأرض تكون له نورًا يوم القيامة.

الحج المبرور يكفر الخطايا ويهدم ما كان قبله من الذنوب:

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة:

حديث جامع في فضل وثواب الحج:

فضل الصلاة في مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم-:

فضل الصلاة في المسجد الحرام:

فضل الصلاة في مسجد قباء:

تتمة للفائدة نذكر فوائد ومقاصد ومنافع الحج، ومنها:

١- الحج امتثال لأمر الله وإجابة لأمره لإبراهيم بالدعوة إليه.

٢- تعظيم شعائر الله وحُرُماته.

٣- الصلة بالله ، والتقرب إليه، ومفارقة الأهل، والأوطان والعشيرة، لأداء الحج، وزيارة البيت العتيق.

٤- ذكر الله في الأيام المعلومات: وهي عشر ذي الحجة وأيام التشريق، وهي من جملة المنافع للحج.

٥- اتصال المسلمين بعضهم ببعض وتعاونهم في مصالحهم.

٦- السلامة من الفقر لمن تابع بين الحج والعمرة.

٧- أرباح التجارة التي تحصل للحاج إذا أراد البيع والشراء شريطة ألا يشغله هذا عن حجه.

٨- إظهار التذلل لله- تعالى- والخضوع له سبحانه.

٩- أداء الشكر لله- تعالى-.

١٠- الحج أعظم مؤتمر بشري تجتمع كلمة أصحابه.

١١- التعلم، والتعليم، ونشر الدعوة والخير بين الناس في المواسم.

١٢- الحج يذكر المسلم بالموت والانتقال إلى الآخرة.

١٣- الحج يذكر بيوم القيامة.

أعمال تعدل أجر الحج:

١- أداء الصلاة المكتوبة في المسجد.

٢-حضور مجالس العلم في المسجد.

٣- الجلوس بعد الفجر في المُصلَّى، وذكر الله تعالى حتى طلوع الشمس ثم تصلي ركعتين.

٤- صلاة العشاء في جماعة.

٥- الأذكار بعد الصلاة.

٦- عمرة في رمضان.

٧- بر الوالدين.

فإن عجزت أن تكون من وفد الرحمن في هذا العام فلا تعجز أن تتشبه بهم:

إن عجزت أن تقدم الهدى في بيت الله الحرام فلا تعجز أن تقدمه كل جمعة:

إن عجزت أن تكون فيمن يباهي اللهُ بهم الملائكة هناك- أي في عرفة- فلا تعجز أن تكون ممن يباهي الله بهم الملائكة هنا في مجالس الذكر:

فإن عجزت أن تكون فيهم-أي في الحُجَّاج- فلا تعجز في أن تجتهد في الأيام العشر الأُوَّل من ذي الحجة:

ثانيا: فضل العمرة:

فضل الحج والعمرة

أولًا: فضل الحج:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران:٩٧)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة:١٢٥)

١- الحج أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام:

وهو من أفضل الطاعات، وأجَلِّ القربات التي ترضي رب الأرضِ والسماواتِ، وهو عبادةُ العمرِ، وختامُ الأمرِ وتمام الإسلام، وتمام الدين.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول ﷺ: **" بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان ".**

وأخرج البزار من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الإسلامُ ثمانيةُ أسْهُمٍ: الإسلامُ سهمٌ، والصلاةُ سهمٌ، والزكاةُ سهمٌ، والصومُ سهمٌ، وحجُّ البيتِ سهمٌ، والأمرُ بالمعروفِ سهمٌ، والنَّهْيُ عن المنكرِ سهمٌ، والجهادُ في سبيلِ اللهِ سهمٌ، وقد خَابَ مَنْ لا سَهْمَ لَهُ ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٧٤١)

٢- من حج بيت الله الحرام فقد كمل إسلامه:

- فقد أخرج البخاري ومسلم وابن خزيمة واللفظ له من حديث عمر بن الخطاب ﷺ في سؤال جبريل -عليه السلام- النبي ﷺ عن الإسلام، فقال: **يا محمد ما الإسلام؟ قال:" الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتحج البيت، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وأن تتم الوضوء، وتصوم رمضان، "قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: " نعم "، قال: صدقت.**

٣- الحج والعمرة جهاد الكبير والمرأة والضعيف:

- فقد أخرج النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" جهاد الكبير، والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٠)

- وأخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة-رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: **" الحج جهاد كل ضعيف ".** (صحيح الجامع: ٣١٧١)

- وأخرج الطبراني في الكبير عن الحسين بن علي -رضي الله عنهما- قال: **" جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني جبان وإني ضعيف، فقال الرسول الله ﷺ له: هَلُمَّ إلى جهادٍ لا شوكة فيه: الحج".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٩٨) (صحيح الجامع: ٧٠٤٤)

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٤٠٧/٣":"الجهاد تحمل الآلام بالبدن والمال، وبذل الأرواح، والحج تحمل الآلام بالبدن وبعض المال دون الروح، فهو جهاد أضعف من الجهاد في سبيل الله، فمن ضعف عن الجهاد لعذر، فالحج له جهاد ". اهـ

- ***وأخرج البخاريُّ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:*** **" قلت: يا رسولَ الله، نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟ فقال: لا، ولكن أفضل الجهاد: حج مبرور ".**

يعنى: أفضل جهاد النساء هو الحج.

- ***وفي رواية:*** **" قالت: قلت: يا رسول الله! ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: " لَكُنَّ أحسنُ الجهادِ وأجملُه حَجٌّ مبرور". *قالت عائشة- رضي الله عنها* -" فلا أدع الحج بعد إذ سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ ".**

- ***وفي رواية:*** **قالت، استأذنت النبي ﷺ في الجهاد، فقال:" جهادكُنَّ الحج ".**

- ***وعند النسائي أنها قالت:*** **قلت: يا رسول الله ألا نخرج فنجاهد معك، فإني لا أرى عملًا في القرآن أفضل من الجهاد، فقال:" لا، ولَكُنَّ أحسن الجهاد وأجمله، حج البيت، حج مبرور ".**

(صححه الألباني في صحيح النسائي)

- ***وعند ابن خزيمة بلفظ:*** **" قالت: قلت يا رسول الله! هل على النساء من جهاد؟ قال: عليهن جهادٌ لا قتال فيه: الحج والعمرة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٩٩)

- ***وفي رواية عند ابن ماجه أنها قالت:*** **" قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال:" نعم: عليهن جهاد لا قتال فيه: " الحج والعمرة ".** (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه وفي إرواء الغليل: ٩٨١)

وأخرج البخاري معلقا عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال: **" شدوا الرحال في الحج، فإنه أحد الجهادين ".**

وكان بعض الصحابة قد جعل بعيره في سبيل الله، فأرادت امرأتُه أن تحج عليه، فقال لها النبي ﷺ:

" حجي عليه، فإن الحج في سبيل الله ". (ذكره البخاري تعليقًا، وخرجه أهل المسانيد والسنن)

٤- الحج من أفضل الأعمال عند الله- تعالى-:

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال:*** **سُئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: " إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: " الجهاد في سبيل الله" قيل: ثم ماذا؟ قال: " حَجٌّ مَبْرُورٌ".**

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير: ٢٧/٢": قدم الجهاد وهو ليس بركن، على الحج وهو ركن، لقصور نفع الحج غالبًا، وتعدى نفع الجهاد، أو كان حيث كان الجهاد فرض عين، وكان أهم منه حالتئذ ". اهـ

وقال العلامة ابن رجب –رحمه الله– في لطائف المعارف ص٢٤١": " الإيمان بالله ورسوله وظيفة القلب واللسان، ثم يتبعها عمل الجوارح، وأفضلها الجهاد في سبيل الله، وهو نوعان: أفضلهما: جهاد المؤمن لعدوه الكافر، وقتاله في سبيل الله. والثاني من الجهاد: جهاد النفس في طاعة الله، كما قال النبي ﷺ:

" المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ". (رواه الإمام أحمد وابن حبان). اهـ

ورواه الترمذي بلفظ: **" المجاهد من جاهد نفسه في الله ".**

ونقل ابن رجب –رحمه الله– عن أبي الشعثاء أنه قال: " نظرت في أعمال البر، فإذا الصلاة تجهد البدن دون المال، والصيام كذلك، والحج يجهدهما، فرأيته أفضل".

وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: رسول الله ﷺ: **" أفضل الأعمال عند الله تعالى: إيمان لا شك فيه، وغزوٌ لا غلول فيه، وحج مبرور ".**

–وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ماعز ﷺ أن النبي ﷺ **سُئِلَ: أي الأعمال أفضل؟ قال:" الإيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برَّة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها ".**

(صحيح الجامع: ١٠٩١)

وأخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: **وبينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال،" إيمان بالله، وجهاد في سبيله، وحج مبرور ". فلما ولى الرجل، قال:" وأهون عليك من ذلك إطعام الطعام، ولين الكلام، وحسن الخلق، فلما ولى الرجل، قال: " وأهون عليك من ذلك: لا تتهم الله على شيء قضاه عليك ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٠٧)

وقفة: اشترط النبي ﷺ من الأحاديث السابقة أن الحج لابد أن يكون حجًا مبرورًا، وقد بين النبي ﷺ في حديث له أن المقصود ببر الحج هو: إطعام الطعام، وطيب الكلام.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الأوسط والحاكم من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، قيل: وما بره؟ قال: إطعام الطعام، وطيب الكلام ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٤) (الصحيحة: ١٢٦٤) (صحيح الجامع: ٢٨١٩)

وقال الإمام النووي–رحمه الله– في كتابه" رياض الصالحين ص٤٩٤ ": الحج المبرور هو: الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية " اهـ.

وجاء في" فتح الباري: ٣/٢٨٢": أن الحج المبرور: هو الذي لا رياء فيه، ولا سمعة، ولم يخالطه إثم ولا يعقبه معصية، وهو الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعًا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، وهو المقبول، ومن علامات القبول أن يرجع خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي. والمبرور مأخوذ من البر وهو الطاعة والله أعلم. **(انظر شرح النووي على مسلم: ٩/١١٩)**

٥- أجر الحج والعمرة على قدر التعب والنفقة:

- فقد أخرج الحاكم من حديث عائشة -رضي الله عنها -: أن رسول الله ﷺ قال لها في عُمْرَتِهَا:

" إنَّ لك من الأجر على قدر نَصَبِكِ [١] وَنفَقَتِكِ ". (صحيح الجامع: ٢١٦٠)

وفي رواية: " إنما أجرُك في عمرتكِ على قَدْرِ نَفَقَتِكِ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٦)

- وفي رواية لمسلم أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " قلت: يا رسول الله! يصدر الناس بنُسكين وأصدر بنسك واحد؟ فقال ﷺ:" انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي منه ثم ألقينا عند كذا وكذا ". قالت: أظنه قال غدًا. ثم قال: " ولكنها على قدر نصبك – أو قال: نفقتك ".

وهذا الحديث يمسح على كل معتمر أي تعب يلقاه، ويهوِّن عليه كل مال ينفقه في سبيل الله، مبشرًا إياه أن ما عند الله خير وأبقى.

٦- الحجاج والعمار وفد الله:

- فقد أخرج البزار من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الحجاج والعمار[٢] وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم ". (الصحيحة: ١٨٢٠) (صحيح الجامع: ٣١٧٣)

- وأخرج ابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال:" الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم".

(الصحيحة: ١٨٢٠) (صحيح الجامع: ٤١٧١)

- وفي رواية عند النسائي وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٩) (صحيح الجامع: ٧١١٢)

وقول النبي ﷺ:" وفد الله " فيه إضافة تشريف لهؤلاء.

ومعنى الحديث: أن السائرين إلى الله القادمين عليه من المسافرين ثلاثة أصناف، فتخصيص هؤلاء من بين العابدين، لاختصاص السفر بهم عادة (حاشية السندي على سنن النسائي)

وقال المناوي- رحمه الله- في " فيض القدير: ٤/ ٤٠٩":" الحاج والمعتمر وفد الله، أي: قادمون عليه امتثالًا لأمره، دعاهم إلى الحج والاعتمار فأجابوه، وسألوه فأعطاهم ما سألوه، ومقصود الحديث: بيان أن الحاج حجًا مبرورًا لا ترد دعوته ". اهـ

٧- من خرج حاجًّا فهو في ضمان الله:

فقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاثة في ضمان الله ﷻ: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله ﷻ، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله تعالى، ورجل خرج حاجًّا ". (الصحيحة: ٦٠٠) (صحيح الجامع: ٣٠٥١)

قال المناوي -رحمه الله-: في" فيض القدير: ٣ /٤٢٠: وقوله:" في ضمان الله ﷻ": أي في حفظه وكلاءته ورعايته. اهـ

١- النَّصَبُ: بالتحريك هو التَّعبُ.

٢- العمار: أي المعتمرون " قاله المناوي في " فيض القدير: ٣/٤٠٥ "

فضل وثواب من خرج حاجًّا أو معتمراً فمات:

طالما أن الحجاج والعمار في ضمان الله – أي في كلَئِه، وحفظه، ورعايته، فمن مات منهم فأجره على الله، يكتب له أجر حجه أو عمرته.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(النساء:١٠٠)

– ***وأخرج أبو يعلى من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" من خرج حاجًّا فمات، كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة، ومن خرج معتمرًا فمات، كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة، ومن خرج غازيًا فمات ؛ كتب له أجر الغازي إلى يوم القيامة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٤) (الصحيحة: ٢٥٥٣)

– ***وفي البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما– قال:*** **خَرَّ رجلٌ من بعيره فوقص فمات فقال النبي ﷺ: " اغسلوه بماءٍ وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة ملبيًا ".**

– ***وفي رواية:*** **" بينا رجل واقف مع رسول الله ﷺ إذ وقع عن راحلته فأقعصته. فقال رسول الله ﷺ: " اغسلوه بماءٍ وسدرٍ، وكفنوه بثوبيه، ولا تُخمرُوا رأسه، ولا تُحَنِّطُوهُ، فإنه يُبْعثُ يوم القيامة مُلبيًا ".**

– ***وفي رواية:*** **أن رجلًا كان مع النبي ﷺ فوقصته ناقَتُه [1] وهو محرمٌ فمات. فقال رسول الله ﷺ: " اغسلوه بماء وسدر.....". *الحديث***

– ***وفي رواية لمسلم:*** **" فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُغَسّلُوهُ بماءٍ وسدرٍ وأن يكشفوا وجهه، حسبتُه قال: ورأسه، فإنه يُبعثُ وهو يُهِلُّ [2] ".**

– ***وفي رواية في الصحيحين أيضًا*** **" اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيبًا، ولا تخمروا رأسه، ولا تحنطوه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا ".**

١ـ وقصته ناقته: أي رمته ناقته فكسرت عنقه؛ وهو معنى: فأقعصته كذلك

٢ـ يهلّ: بتشديد اللام، أي يرفع صوته بالتلبية

فضل التلبية:

- *أخرج الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن خلاد بن السائب عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " أتاني جبريل -عليه السلام- فأمرني أن آمرَ أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال والتلبية ".

(صحيح الجامع: ٦٢)

- *وأخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجُهنيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " جاءني جبريل- عليه السلام- فقال: مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعائر الحج ".

(الصحيحة: ٨٣٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٦)

- *وأخرج الترمذي وابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئِلَ:* أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال: " العَجُّ [١] والثَّجُّ [٢] ". (الصحيحة: ١٥٠٠) (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٨)

- *وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سئل رسول الله ﷺ:* أيُّ الحج أفضل؟ قال: " أفضل الحجِّ، العجُّ والثجُّ ". (صحيح الجامع: ١١٠١)

- *وأخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " ما من مسلم يلبِّي، إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حَجرٍ، أو شجرٍ، أو مدرٍ، حتى تنقطع الأرضُ من ها هنا، وها هنا [٣] ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٤) (صحيح الجامع: ٥٧٧٠)

- *وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " ما أهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ، ولا كَبَّرَ مكبرٌ قط إلا بُشِّرَ ". قيل: يا رسول الله بالجنة؟ قال:" نعم ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٧) (السلسلة الصحيحة: ١٦٢١)

قال المناوي-رحمه الله-: " بشرته الملائكة أو الكاتبان ".

تنبيه: يستحب رفع الصوت بالنسبة للرجال، وخفضه بالنسبة للنساء.

- أما رفع الصوت بالنسبة للرجال فدليله *ما أخرجه البخاري "باب رفع الصوت بالإهلال[٤] عن أنس ﷺ قال:* " صلى النبي ﷺ بالمدينة الظهر أربعًا، والعصر بذي الحليفة ركعتين، وسمعتهم يصرخون بهما جميعًا.

- *ومر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث خلاد بن السائب بن خلاد عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ:* " أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال بالتلبية ".

١- العج: رفع الصوت عاليًا بالتلبية والتكبير

٢- الثج: سيلان دم الهدايا والأضاحي، والمقصود: هو نحر البُدن

٣- حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا: قال المناوي رحمه الله – كما في فيض القدير: ٤٩٩/٥ : أي من منتهى الأرض من جانب الشرق إلى منتهى الأرض من جانب الغرب، يعنى يوافقه في التلبية كل رطب ويابس في جميع الأرض

٤- قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- في " فتح الباري: ٤٠٨/٣ ": والإهلال المقصود به رفع الصوت بالتلبية، وقوله: " يصرخون بها جميعًا " أي: بالحج والعمرة ".

ومر بنا كذلك الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجُهَني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" جاءني جبريل فقال: يا محمد مُرْ أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية؛ فإنها من شعائر الحج ".**

– *والحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي بكر ﷺ* أن النبي ﷺ سئل: أي الحج أفضل؟ قال:" العج والثج ".

أما بالنسبة للنساء فيستحب لهن خفض الصوت بالتلبية وهذا ما عليه جمهور أهل العلم

– ***قال الإمام ابن عبد البر–رحمه الله–:*** وأجمع العلماء على أن السنة في المرأة ألا ترفع صوتها، وإنما عليها أن تُسمع نفسها، فخرجت من جملة ظاهر الحديث [1]، وخُصَّت بذلك، وبقي الحديث في الرجال.

(التمهيد لابن عبد البر: ١٧/٢٤٢)

– ***قال العلامة الشنقيطي –رحمه الله –:*** وقال الرافعي في شرحه الكبير: وإنما يستحب الرفع في حق الرجل، ولا يرفع بحيث يجهد ويقطع صوته، والنساء تقتصرن على سماع أنفسهن.

(أضواء البيان للشنقيطي: ٥/٣٥٢)

فضل الطواف بالبيت الحرام

لم يأذن الله– تعالى– لأحد بالطواف حول بنيان غير بيته الحرام، وجعل ذلك من أفضل الأعمال فأمر به في كتابه الكريم **فقال:** ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج :٢٩) وأمر خليله إبراهيم وابنه إسماعيل –عليهما السلام– بتطهير بيته الحرام للطائفين والعاكفين والمصلين **فقال تعالى:** ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(البقرة:١٢٥) **وقال تعالى:** ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج:٢٦)

وجعل الشارع الحكيم الطواف حول الكعبة ركنًا على كل حاج ومعتمر لبيته الحرام فلا يصح الحج والعمرة إلا بالطواف حول الكعبة، وفيما عدا الحج والعمرة رغب فيه الشارع الحكيم، وجعل عليه أجرًا عظيما، والمغبون من فرط فيه بعد تيسره له. **والطواف له فضائل كثيرة منها:**

١ - *الطواف حول الكعبة كالصلاة:*

– ***فقد أخرج الترمذي وابن حبان من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن النبي ﷺ قال:***

" الطوافُ حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فيه، فلا يتكلم إلا بخير".

(صحيح الجامع: ٣٩٥٥)

– ***وفي رواية عند الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي بلفظ:*** **" الطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحل فيه المنطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير ".** (صحيح الجامع: ٣٩٥٤)

وفي رواية عند الطبراني في الكبير بلفظ: **" الطواف صلاة، فأقلوا فيه الكلام ".** (صحيح الجامع: ٣٩٥٦)

---

١ - المقصود بالحديث من كلام ابن عبد البر: هو الحديث الذي فيه الأمر برفع الصوت بالتلبية

تنبيه:

القول بأنه يلزم للطواف وضوء من المسائل الخلافية، **والراجح فيها** أنه لا يلزم لأمرين:

الأول: أن الحديث السابق لا يصح مرفوعًا، والصواب أنه موقوف من كلام ابن عباس كما رجحه الترمذي والبيهقي وابن تيمية، وابن حجر ... وغيرهم.

الثاني: على فرض صحته، فلا يلزم منه أن الطواف يشبه الصلاة في كل شيء حتى يُشْتَرَط له ما يُشْتَرَط للصلاة، ثم إن الصلاة الشرعية التي يُشْتَرَط لها الطهارة ونحوها ما كان تحريمها الكبير وتحليلها التسليم.

لذا قال شيخ الإسلام-رحمه الله- كما في "مجموع الفتاوى: ٢٦/٢٩٨": "وتبين لي أن طهارة الحدث لا تُشْتَرَط في الطواف، ولا تجب فيه بلا ريب، ولكن تُسْتَحب فيه الطهارة الصغرى (الوضوء)، فإن الأدلة الشرعية إنما تدل على عدم وجوبها فيها، وليس في الشريعة ما يدل على وجوب الطهارة الصغرى فيه ".اهـ

وإلى هذا ذهب ابن حزم -رحمه الله - كما في "المحلى" (٧/٢١٨). (انظر "صحيح فقه السُّنَّة": ١/١٢٣)

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله - كما في "الشرح الممتع" (٧/٢٠٠):

" وعليه فالقول الراجح الذي تطمئن إليه النفس: أنه لا يشترط في الطواف الطهارة من الحدث الأصغر، لكن بلا شك أفضل وأكمل واتباعًا للنبي ﷺ، ولا ينبغي أن يخل بها الإنسان لمخالفة جمهور العلماء في ذلك، لكن أحيانًا يضطر الإنسان إلى القول بما ذهب إليه شيخ الإسلام مثل لو أحدث أثناء طوافه في زحام شديد ". اهـ

٢- الطواف بالبيت الحرام كعتق رقبة:

- فقد أخرج ابن ماجه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" من طاف بالبيت سبعًا، وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة ".** (صحيح الجامع: ٦٣٧٩)

- وأخرج الطبراني من حديث محمد بن المنكدر عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" من طاف بالبيت أسبوعًا [1] لا يلغو فيه كان كعدل رقبة يعتقها ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٤٠)

١- أسبوعًا أي سبعة أشواط

٣ - الطواف بالبيت الحرام يكفر الله به السيئات، ويكتب به الحسنات، ويرفع به الدرجات:

- فقد أخرج الترمذي والنسائي عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال رسول الله ﷺ: **" من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضع قدمًا، ولا يرفع أخرى، إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة ".**

- وعند ابن خزيمة وابن حبان بلفظ **" من طاف بالبيت أسبوعًا لا يضع قدمًا، ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة، ورفع له بها درجة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٤٢)

- **وأوجب الشارع على كل حاج أراد الخروج من مكة أن يطوف بالكعبة طواف الوداع**

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: **أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض".**

وفي رواية عند مسلم بلفظ: **"كان الناس ينصرفون في كل وجه فقال رسول الله ﷺ: لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت ".**

قال الدهلوي-رحمه الله-: والسر في طواف الوداع هو تعظيم البيت بأن يكون هو الأول وهو الآخر، تصويرًا لكونه هو المقصود من السفر، وموافقة لعادتهم في توديع الوفود ملوكها عند النفر. والله أعلم.

- **وحذر الشارع من منع الطائفين حول الكعبة متى شاءوا**

فقد أخرج أهل السنن وابن خزيمة وابن حبان عن جبير بن مطعم ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" يا بني عبد مناف، لا تمنعُنَّ أحدًا طاف بهذا البيت، وصلى أيَّ ساعة شاء من ليل أو نهار".**

(صحيح الجامع :٧٩٠٠)

وقفة:

عليك أخي الحبيب أن تكثر من الطواف حول البيت- إن استطعت إلى ذلك سبيلًا- قبل أن تزول عنه – أي بالموت – أو يزول هو عنك – أي بالرفع.

- فقد أخرج ابن خزيمة وابن حبان عن ابن عمر- رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ:

" استمتعوا بهذا البيت فقد هُدِمَ مرتين، ويُرفعُ في الثالثة ". (الصحيحة: ١٤٥١) (صحيح الجامع: ٩٥٥)

فضل {الحجر الأسود- الركن اليماني- المقام- الحِجْر- الملتزم- ماء زمزم}

أولا: فضل الحجر الأسود:

والحجر الأسود هو المنصوب في الركن الشرقي للكعبة ومن محاذاته يبدأ الطواف حول الكعبة، وله فضائل كثيرة منها:

١- أنه حجر من الجنة:

- فقد أخرج الترمذي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: " نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضًا من اللبن، فسودته خطايا بنى أدم [١] ".

(الصحيحة: ٢٦١٨) (صحيح الجامع: ٦٧٥٦)

- وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " كان الحجر الأسود أشد بياضًا من الثلج، حتى سودته خطايا بنى آدم ". (صحيح الجامع: ٤٤٤٩)

- وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الحجر الأسود من الجنة ".

(صحيح الجامع: ٣١٧٤)

- وفي رواية عند الطبراني: " الحجر الأسود من حجارة الجنة ". (صحيح الجامع: ٣١٧٥)

- وعند البيهقي في" شعب الإيمان" من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " لولا ما مَسَّ الحجرَ من أنجاس الجاهلية ما مَسَّهُ ذو عاهة إلا شُفي، وما على الأرض شيء من الجنة غيره ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٤٨) (صحيح الجامع: ٥٣٣٤)

٢- الحجر يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق:

- وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " والله ليبعثنه اللهُ يوم القيامة-يعني الحجر الأسود- له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق ". (صحيح الجامع: ٧٠٩٨)

- وأخرج ابن ماجه والبيهقي في" شعب الإيمان "عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:" ليأتين هذا الحجرُ يوم القيامة له عينان يُبصِرُ بهما، ولسانٌ ينطقُ به، يشهدُ على من استلمهُ بحق ". (صحيح الجامع: ٥٣٤٦)

وأخرج الإمام أحمد وابن خزيمة والحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقٍّ ".

١- وإذا كان هذا أثرها على الجمادات، فكيف بأثرها علي القلوب؟! وقد نقل الحافظ في الفتح عن المحب الطبري قوله: في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد، فتأثيرها في القلب أشد. أهـ

وقال المناوي في "فيض القدير: ٢٨٢/٦": اسوداد الحجر للاعتبار ليعرف أن الخطايا إذا أثرت في الحَجَرِ ففي القلوب أولى. اهـ بتصرف.

وقفة: وتقبيل الحَجَرَ واستلامه أمر مشروع مسنون مرغّبٌ فيه شرعًا، وفيه أجر وثواب عظيم، وفاعل ذلك يفعله اتباعًا للسنة، ورغبة في الأجر الموعود به، لا أن يظن أن الحَجَرَ يضره أو ينفعه، كما يظن بعض الجهال. ***ولذلك نبه الخليفة الراشد عمر الفاروق ﷺ حين جاء إلى الحَجَرِ الأسود فقبَّله ثم قال:*** "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلكَ ما قبَّلتُكَ ".

(رواه البخاري ومسلم)

٣- مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًّا:

فقد أخرج الترمذي والنسائي والطبراني من حديث عبيد بن عمير قال: " كان ابن عمر يزاحم على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يفعله، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنك تزاحم على الركنين زحامًا ما رأيتُ أحدًا من أصحاب النبي يزاحم عليه، فقال: نعم. أنا أفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن مسحهما كفارةٌ للخطايا، وسمعته يقول: مَن طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه كان كعتق رقبة، وسمعته يقول: لا يضع قدمًا ولا يرفع أخرى إلا حطَّ اللهُ عنه خطيئةً وكتب له بها حسنةً "

(صحيح الجامع:٦٣٨٠)

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: " أنه سَمِعَ أباه يقول لابن عمر- رضي الله عنهما-: ما لي لا أراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود، والركن اليماني؟ فقال ابن عمر: إن أفعل، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن استلامهما يحطُّ الخطايا، قال: وسمعته يقول: مَن طاف أسبوعًا يحصيه، وصلَّى ركعتين كان كعدل رقبة، قال: وسمعته يقول: ما رفع رجلٌ قدمًا ولا وضعها إلا كُتب له عشرُ حسنات، وحُطَّ عنه عشر سيئات، ورُفع له عشر درجات ".

(صحيح الترغيب والترهيب:١١٣٩)

ورواه ابن خزيمة إلا أنه قال: " إن أفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مسحهما يحط الخطايا، وسمعته يقول: مَن طاف بالبيت لم يرفع قدمًا ولم يضع قدمًا إلا كَتَبَ الله له حسنة، ويحط [عنه] خطيئة، وكتب له درجة، وسمعته يقول: مَن أحصى أسبوعًا كان كعتق رقبة ".

وعند النسائي عن عبيد بن عمير أن رجلًا قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن ما أراك تستلم إلا هذين الركنين، قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ مَسْحَهُما يَحُطَّانِ الْخطيئةَ ".

(صحيح النسائي: ٢٧٣٢)

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال:

" إن مسح الحجر الأسود، والركن اليماني، يحطانِ الخطايا حَطًّا ". (صحيح الجامع:٢١٩٤)

تنبيهات وفوائد:

أ- **الحَجَرُ يُقبَّلَ ويُستلم:** لقد عَلَّمنا رسولُ الله ﷺ الطريقة المشروعة لتعظيم الحجر الأسود، فمن طاف بالكعبة ابتدأ طوافه به، وسُنَّ له أن يقبِّله إن أمكنه ذلك، وإلا استلمه بيده ومسحه مسحًا ثم قبَّل يده، أو استلمه بعصا وقبَّل ما وصل إليه، وإلا أشار بيده عند عدم القدرة على التقبيل أو الاستلام، أو خشية الإيذاء للآخرين، ويكبر مع ذلك كله. ودليل ذلك: ***ما أخرجه البخاري في صحيحه عن الزبير بن عربي قال: سأل رجلٌ ابن عمر-رضي الله عنهما-*** **عن استلام الحجر[1] فقال رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبِّله... ". *الحديث***

- ***وعند الإمام مسلم عن نافع قال:*** **رأيت ابن عمر-رضي الله عنهما- استلم الحَجَرَ وقبَّل يده وقال: " ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يقبله ".**

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي الطفيل ﷺ يقول:*** **" رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم بمحجن معه ويُقبِّل المحجن ".**

- ***وأخرج الإمام مسلم عن سويد بن غفلة قال:*** **" رأيت عمر ﷺ قبّل الحَجَرَ والتزمه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ بك حفيًا ".**

ب- **يسن للطائف كلما مرَّ على الحَجَرِ الأسود أن يُكبِّر:**

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: **"طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ".**

وفي صفة التكبير ورد عن ابن عمر إضافة البسملة عند استلام الحجر: (بسم الله والله أكبر).

(البيهقي في السنن الكبرى: ٧٩/٥)

جـ- لا يجوز لمن أراد استلام الحجر إيذاء الطائفين حين الاستلام، فيكون قد استلمه بغير حق، فيفوته الأجر لما يترتب على ذلك من المضار والإيذاء للمسلمين، ***وقد رُوِيَ أن النبي ﷺ أمر عمر بقوله:***

" يَا عُمَرُ، إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ، وَإِنَّكَ تُؤْذِي الضَّعِيفَ، فَإِذَا رَأَيْتَ خَلْوَةً فَاسْتَلِمْهُ، وَإِلَّا فَكَبِّرْ وَامْضِ".

(أخبار مكة للأزرقي، وفي إسناده رجل مجهول)

- ***وذكر الأزرقي من أخبار مكة عن ابن عباس- رضي الله عنهما -*** **قال:" إذا وجدت على الركن زحامًا فلا تؤذِ ولا تؤذَ".**

١- استلام الحجر: قال الأزهري: هو افتعال من السلام، وهو التحية، كأنه إذا استلمه اقترأ منه السلام، وأهل اليمن يسمون الركن الأسود: المُحَيَّا، أي الناس يحيونه، قال ابن حجر- رحمه الله-: يستحب الجمع بين التسليم والتقبيل للحجر الأسود.

- **ويشتد النهي بالنسبة النساء خاصة وقت الزحام:**

- *فقد أخرج البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-*: أنها كانت تطوف محجوزًا بينها وبين الرجال بثوب لا تخالطهم، فقالت لها امرأة انطلقي نستلم يا أم المؤمنين- تعني هيا نُقَبِّل الحَجَرَ الأسود-، فقالت لها: "عنك...وأبت". حتى لا تخالط الرجال.

***وأخرج الشافعي في مسنده:* أنه دخلت على عائشة -رضي الله عنها- مولاة لها، فقالت لها: يا أم المؤمنين! طُفْتُ بالبيت سبعًا، واستلمت الركن مرتين أو ثلاثًا، فقالت لها عائشة- رضي الله عنها-: لا آجرك الله، لا آجرك الله، تدافعين الرجال؟ ألا كبَّرتِ ومررتِ؟!**

***وروى الأزرقي في أخبار مكة*:** عن عطاء بن رباح أنه رأى امرأة أرادت أن تستلم الركن فصاح بها وقال: " لا حق للنساء في استلام الركن ". (وذلك عند وجود الرجال الأجانب والزحام).

كما أن من الأمور التي لا تجوز ما يفعله بعض العامة من قطع الصلاة قبل انتهاء الإمام من التسليم لأجل الاستلام.

ثانيا: فضل الرُّكن اليماني

هو ركن الكعبة الغربي الجنوبي: والسنة استلامه دون تقبيله. فقد كان النبي ﷺ يستلمه ويمسحه بيده الشريفة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أنه قال: **" لم أر رسول الله ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين".**

وأخرج النسائي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-: **" أن رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني".** (صحيح الجامع: ٤٨٥٥)

قال الدهلوي- رحمه الله-: إنما خصَّ الركنين اليمانيين بالاستلام لما ذكره ابن عمر- رضي الله عنهما- من أنهما باقيان على بناء إبراهيم -عليه السلام- دون الركنين الآخرين فإنهما من تغييرات الجاهلية.

فائدة:

صح عن النبي ﷺ أنه كان يقول بين الركن اليماني والحجر: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

١- والركن اليماني يشهد لمن استلمه:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" يأتي الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيْسٍ [١] له لسانان وشفتان ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٤٥)

٢- واستلام الركن اليماني يحط الخطايا حَطًّا:

فقد مر بنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: **" إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًّا ".** (صحيح الجامع:٢١٩٤)

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير: **" أنه سمع أباه يقول لابن عمر-رضي الله عنهما-: ما لي لا أراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود والركن اليماني؟ فقال ابن عمر: إن أفعل، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن استلامهما يحط الخطايا...".**

وفي رواية: **" إن مسحهما كفارة للخطايا.....".**

١- أبي قبيس: جبل معروف.

ثالثاً: فضل مقام إبراهيم:

هو من الآيات البينات في حَرَمِ الله ﷻ:

وقد ورد في الآثار أنه الحَجَر الذي قام عليه خليل الرحمن إبراهيم –عليه السلام– عند بناء الكعبة المشرفة لما ارتفع البناء، ثم قام مؤذنًا عليه في الناس بالحج بعد أن اكتمل بناء الكعبة.

(شفاء الغرام للفاسي: ٢٠٣/١)

وقد جاء في خبر بناء الكعبة كما عند البخاري وفيه: **"... فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.**

(البقرة: ١٢٧) ولقد نوه الله الجليل بذكره في كتابه وذكره من جملة آياته البينات في حرمه الآمن **فقال عز وجل:** **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.** **(آل عمران: ٩٧)**

قال ابن جرير الطبري–رحمه الله– في" تفسيره ٤/ ١١ "عند هذه الآية: إن أول بيت وضع للناس مباركًا وهدى للعاملين للذي ببكة فيه علامات بينات من قدرة الله، وآثار خليله إبراهيم، منهن أثر قدم خليله إبراهيم في الحَجَر الذي قام عليه. اهـ

وقال ابن الجوزي–رحمه الله–: ولم تزل آثار قدم إبراهيم –عليه السلام– حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة.

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً عَلَى قَدَمَيْهِ حافِيًا غَيْرَ ناعِلِ

ومما ورد في فضل المقام ما يلي:

١- أمر الله باتخاذه مصلى لمن طاف بيته الحرام:

قال تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** **(البقرة: ١٢٥).**

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث عمر ﷺ قال: **وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى.. ". الحديث.**

- **والصلاة خلف المقام بعد الطواف سنة عن رسول الله محمد ﷺ.**

فقد أخرج النسائي عن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال: **قدم رسول الله محمد ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، وصلى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** **(وأصل الحديث في الصحيحين)**

وفي صحيح مسلم من حديث جابر ﷺ قال: **طاف رسول الله ﷺ بالبيت سبعًا، رمل منها ثلاثًا، ومشى أربعًا، ثم قام عند المقام فصلى ركعتين ثم قرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ورفع صوته يسمع الناس.**

تنبيه:

من لم يتيسر له الصلاة خلف المقام للزحام جاز له أن يصليها في أي مكان من المسجد الحرام.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-: " لا يجب على الطائف أن يصلى الركعتين خلف مقام إبراهيم، ولكن يشرع له ذلك إذا تيسر من دون مشقة، وإن صلاهما في أي مكان من المسجد الحرام أو في أي مكان من الحرم كله أجزأه ذلك، ولا يشرع أن يزاحم الطائفين لأدائها حول المقام. بل ينبغي له أن يتباعد عن الزحام وأن يصليهما في بقية المسجد الحرام، لأن عمر- رضي الله عنه- صلى ركعتين الطواف في بعض طوافه بذي طوى، وهي من الحرم لكنها خارج المسجد الحرام، وكذلك أم سلمة - رضي الله عنها- صلت لطواف الوداع خارج المسجد الحرام. والظاهر أن سبب ذلك الزحام، أو أرادت بذلك أن تبين للناس التوسعة الشرعية في هذا الأمر. **(مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ٢٢٨/١٨)**

- فهذا هو المشروع عند المقام، وهو الصلاة خلفه فقط لمن تيسر له ذلك ولو بَعُدَ عنه، وأما التمسح والتبرك به وتقبيله كل ذلك مما لم يرد عن رسول الله ﷺ ولم يشرع لهذه الأمة.

وذكر ابن جرير-رحمه الله- في تفسيره عن قتادة: أنه تلا قول الله تعالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** ثم قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه. **(رواه الأزرقي في أخبار مكة: ٢٩/٢).**

٢- المقام مكان نداء إبراهيم بالحج:

إن من فضيلة مقام إبراهيم -عليه السلام- أن إبراهيم الخليل بعد أن أتم بناء البيت أمره ربُّه -عز وجل- أن يؤذن في الناس بالحج، ليَفِدوا إلى بيت ربهم ملبين بالحج، ***كما ذكر ذلك ربنا في كتابه الكريم:*** **﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾** (الحج: ٢٧)، فقام خليل الرحمن على المقام، وأذَّن في الناس كما أمره الله -عز وجل-.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: **" قام إبراهيم على الحَجَر فقال: يا أيها الناس كُتب عليكم الحج. فأسْمَعَ من في أصلاب الرجال وأرحام النساء. فأجابه من آمن، ومن كان سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك ".** **(صحح ابن حجر-رحمه الله- إسناده في الفتح: ٤٠٦/٦)**

رابعاً: فضل الرُّكن والمقام

- أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول: **" إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما ولو لم يَطْمِسْ نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب".** (صحيح الجامع: ١٦٣٣)

- وأخرجه البيهقي ولفظه: **" إن الركن والمقام من ياقوت الجنة ولولا ما مسه من خطايا بنى آدمَ لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما من ذي عاهة ولا سقم إلا شفي".**

خامساً: فضل الحِجْر

الحِجْرُ: بكسر الحاء وسكون الجيم، هو الجزء الواقع شمال الكعبة على شكل نصف دائرة، وهو جزء من الكعبة، وذلك أن قريشًا حين بنت الكعبة قصرت بها النفقة، ولم يحصل البناء على قواعد إبراهيم كاملة، وحجرت على مواضع أساس إبراهيم، وقيل لذلك سمى حِجْرًا.

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: **" إِنَّ قَوْمَكِ اِسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ البَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِرْكِ أَعَدْتُ مَا تَرَكُوْا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَا لِقَوْمَكِ مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمّي لأُرِيكِ مَا تَرَكُوْا مِنْهُ "، فأراها قريبًا من سبعة أذرع.**

فهذا هو القدر الذي حدده رسول الله ﷺ أنه من البيت، وإن كان البناء الذي حول الحجر اليوم أوسع بكثير من هذا التقدير فيتحرى المصلى القدر المحدد في الحديث.

وأما عن فضله فالصلاة فيه كالصلاة داخل الكعبة لأنه جزء منها:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وعبد الرزاق عن عائشة– رضي الله عنها– قالت: **كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحِجْر وقال لي: " صَلِّ فِي الْحِجْرِ إِذَا أَرَدْتِ دُخُولَ الْبَيْتِ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَيْتِ، وَلَكِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ البَيْتِ ".**

تنبيهان:

١- الطائف بالكعبة لابد أن يطوف من وراء الحِجْر، لأنه جزء من البيت كما تقدم.

٢- ومن الأخطاء الشائعة تسميته: بـ (حِجْر إسماعيل) فهذه التسمية غير صحيحة، وأكبر منها ظن بعض العوام أن إسماعيل–عليه السلام– مدفون فيه، أو غيره من الأنبياء. **(البلد الحرام فضائل وأحكام)**

سادساً: فضل المُلْتَزَم

والمُلتزم هو مكان الالتزام من الكعبة، وَحَدَّهُ فيما بين باب الكعبة والحجر الأسود كما ثبت عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: هذا المُلْتَزَم بين الركن والباب (مصنف عبد الرزاق: ٧٦/٥)

وتسميته بالملتزم لأن الناس يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم، ويسمَّى أيضا: المدعا والمُتَعَوَّذ.

- **ويستحب إلصاق الصدر والدعاء عنده:**

وذلك للحديث الذي أخرجه البيهقي من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما– قال: " **كان رسول الله ﷺ يُلزقُ صدْرَهُ ووَجهَهُ بالمُلتَزَمِ** ". (صحيح الجامع:٥٠١٢) (الصحيحة:٢١٣٨)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– كما في" مجموع الفتاوى: ٢٦/١٤٢": وإن أحبَّ أن يأتي المُلْتَزَم وهو ما بين الحَجَرَ الأسود والباب فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو، ويسأل الله– تعالى– حاجته فعل ذلك، وله أن يفعل قبل طواف الوداع، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع وغيره، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة. اهـ

سابعاً: فضل ماء زمزم

زمزم: اسم البئر التي تقع شرقي الحجر الأسود وجنوبي موقع مقام إبراهيم –عليه السلام– حاليًا، وهو مشتق من الزمزمة وهو الصوت مطلقًا.

قال ابن قتيبة–رحمه الله–: " ولا أراهم قالوا: زمزم إلا لصوت الماء حين ظهر". (غريب الحديث: ٥٠٢/٢).

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" الفتح: ٣/ ٥٧٦":" وقيل سبب تسمية زمزم لكثرتها، يقال: ماء زمزم، أي: ماء كثير، وقيل: لاجتماعها، قال أبو زيد: الزمزمة من الناس: خمسون ونحوهم. وعن مجاهد: إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهزمة، والهزمة الغمز بالعقب الأرض (أخرجه الفاكهي بإسناد صحيح)، وقيل: لحركتها (قاله الحربي)، وقيل: لأنها زُمت بالميزان لئلا تأخذ يمينًا وشمالا، وقال المسعودي: سُميت به؛ لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليه، والزمزمة: صوت تخرجه الفرس عند شراب الماء ".

أسماء زمزم:

زمزم، ركضة جبريل، هزمة جبريل، الشُّباعة، زَمَّمُ، زُمَزِم، الرَّواء، زُمرم، زمام، مكتومة، مضنونة، سُقيا، شفاء سقم، طعام طُعْم، حفيرة عبد المطلب. (انظر لسان العرب: ٢٧٥/١٢).

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن وهب بن منبه–رحمه الله– أنه قال: نجدها في كتاب الله– يعني زمزم–: شراب الأبرار، مضنونة، طعام طعم، شفاء من سقم، ولا تُنْزَحُ[1]، ولا تذم.

١- لا تُنْزَحُ: يعني لا يفنى ماؤها ولا ينتهي.

قصة زمزم:

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قِبَل أم إسماعيل، اتخذت منطقًا لتُعَفِّي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه- حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعها هناك، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسِقاء [١] فيه ماء، ثم قَفّيَ [٢] إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب؟ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنيَّة [٣] حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٧) وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى- أو قال: يَتَلَبَّطُ [٤] فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض إليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها؛ فنظرت هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ:" فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ[٥]- تُرِيدُ نَفْسَهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ[٦]، فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا[٧]، وَجَعَلَتْ تَغْرُفُ المَاءَ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ ".

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ:" يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي[٨] هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ[٩] مِنْ جُرْهُمَ ".

١- سقاء: القربة الصغيرة.
٢- قَفّيَ: أي ولّى راجعًا.
٣- الثنيّة: مكان عند مدخل مكة.
٤- يَتَلَبَّطُ: أي يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض.
٦- صَهْ أو صَهٍ: كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي.
٦ - غِوَاثٌ: يعني مغيث.
٧- تقول بيدها هكذا: هو حكاية فعلها، وهذا من إطلاق القول على الفعل.
٨ - في رواية (يبنيه) أخرجها الإسماعيلي، كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٦٣/٦.
٩- الرفقة: الجماعة المترافقون في السفر (لسان العرب: ١٢٠/١٠)

فهذه نشأة هذا الماء المبارك الشريف في حرم الله الآمن بواسطة ملك من ملائكة الرحمن، فما أبركه من ماء في بلد حرام، وعلى ماء زمزم قامت حياة الناس في مكة، وعمرت سنين مديدة، ثم شاء الله أن اندرست معالم زمزم وخفى موضعها على الناس، حتى شاء الله وقدر أن يجرى هذا الماء المبارك مرة أخرى على يدي عبد المطلب جد النبي ﷺ فهو الذي حفرها مرة أخرى بعد إندراس معالمها

وقفة: ***قال السهيلي-رحمه الله-:*** وحكمة أن جبريل يفجر ماء زمزم بعقبه دون يده أو غيرها إشارة إلى أنها لعقبه ووارثه وهو محمد ﷺ وأمته، ***كما قال تعالى*** ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ (الزخرف:٢٨) أي: أمة محمد.

ولقد وردت النصوص الشرعية الدالة على فضل هذا الماء المبارك، ومن ذلك:

١- ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض:

فقد اخرج ابن حبان والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **خَيرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفاءٌ مِنَ السُّقْمِ، وشرُّ ماءٍ علىَ وجهِ الأرضِ: ماءٌ بوادي بَرَهُوتَ[١]، بقبة حضرموت[٢]، كَرِجْل الجراد[٣] من الهوام، تصبح تتدفق، وتمسى لا بلال فيها [٤]** ". (الصحيحة: ١٠٥٦)

يقول ابن القيم-رحمه الله-: " ماء زمزم سيد المياه، وأشرفها، وأجلها قدرًا، وأحبها إلى النفوس، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس، وهو هَزمَةُ [٥] جبريل، وسُقيا إسماعيل ".

٢- ماء زمزم مباركة:

فقد اخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " **زمزم مباركة، إنها طعام طعم[٦]، وشفاء سقم** ".

٣- ماء زمزم لما شرب له:

فقد اخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **ماء زمزم لما شُرب له** ".

(صححه الألباني رحمه الله في الإرواء: ١١٢٣) (صحيح الجامع: ٥٥٠٢)

قال مجاهد- رحمه الله -: " ماء زمزم إن شربته تشتفي به شفاك الله وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله.

- ***وقال الشوكاني- رحمه الله-:*** " وفى الحديث السابق دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة، لأن "**ما**" في قوله: " **لِمَا شُرِبَ له** " من صيغ العموم.

١- برهوت بفتح الباء الموحدة والراء، وضم الهاء، وآخره تاء مثناة.
٢- حضرموت: بفتح الحاء المهملة: اسم بلد. قال أهل اللغة: وهما اسمان جعل اسمًا واحدًا، إن شئت بنيت " حضر " على الفتح وأعربت "موت" إعراب مالا ينصرف، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فأعربت حضرًا وخفضت موت .
٣- رجل الجراد: القطعة العظيمة منه ولا يقال إلا للجراد، وهو جمع لا واحد له من لفظه.
٤- لا بلال فيها: والبلال: جمع بلل: والبلال يطلق على الماء، وما يبل به الحلق من ماء أو لبن، والمقصود هنا: أي ليس بها قطرة من ماء.
٥- هَزْمة: بفتح الهاء، وسكون الزاي: هو أن تغمز موضعًا بيدك، أو رجلك فتصير فيه حفرة.
٦- طعام طعم: بضم الطاء وسكون العين، أي: طعام يشبع من أكله شربه.

وشرب عبد الله بن المبارك – رحمه الله– ماء زمزم لاتقاء عطش يوم القيامة.

يقول سويد بن سعيد: رأيت عبد الله بن المبارك بمكةِ أتي زمزم، فاستقي شربة، ثم استقبل القبلة، فقال: اللهم إن ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابرﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "**ماء زمزم لما شرب له**" وإني أشربه لعطش القيامة، ثم شربه. **(تاريخ بغداد للخطيب البغدادي :١١٦/١٠)**

– ***وفي رواية عن الحسن بن عيسى مولى عبد الله بن المبارك قال:*** رأيت ابن المبارك دخل زمزم فاستسقى دلوًا واستقبل البيت، ثم قال: اللهم إن عبد الله بن المؤمَّلِ حدثني عن أبي الزبير عن جابر.... فذكر مثله.

– ***يقول سفيان الثوري–رحمه الله–:***" إنما كانت الرقى والدعاء بالنية لأن النية تبلغ بالعبد عناصر الأشياء، والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها، وعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على الطيران إلى الله، فالشارب لزمزم على ذلك. اهـ **(فيض القدير للمناوي–رحمه الله–:٤٠٤/٥)**

وروى الأزرقي في كتابه" أخبار مكة: ٥٠/٢" عن مجاهد–رحمه الله– قال:" ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له: إن شربته تريد شفاءً شفاك الله، وإن شربته لظمأ أرواك الله، وإن شربته لجوع أشبعك الله، وهي هزمة جبريل بعقبه، وسقيا الله إسماعيل– عليه السلام–".

وقال الحكيم الترمذي–رحمه الله–:" الشاربُ لماء زمزم إن شربه لشبع أشبعه الله، وإن شربه لريٍّ أرواه الله، وإن شربه لشفاء شفاه الله، وإن شربه لحسن سوء خلق حسنه الله، وإن شربه لشرح ضيق صدر شرحه الله، وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله، وإن شربه لحاجة قضاها الله، وإن شربه لأمرٍ نابه كفاه الله، وإن شربه لكربة كشفها الله، وإن شربه لنصرة، نصره الله، وبأية نية شربه من أبواب الخير والصلاح وفَّى اللهُ له بذلك ". **(نوادر الأصول: ص٣٤١)**

ويقول النووي–رحمه الله – : وقوله "**ماء زمزم لما شرب له**" معناه أن من شربه لحاجة نالها، وقد جرّبه العلماء والصالحون، لحاجات أخروية ودنيوية، فنالوها بحمد الله وفضله. اهـ

– ***كان ابن عباس –رضي الله عنهما– يشربها ويقول:*** "**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء** ". **(رواه الحاكم في المستدرك)**

– وشربه الحاكم أبو عبد الله لحسن التصنيف، فصار أحسن أهل عصره تصنيفًا. **(قاله الحافظ)**

– وسئل ابن خزيمة: من أين أتيت العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ:" **ماء زمزم لما شرب له**". وإني لما شربت، سألت الله علمًا نافعًا "

– وشربه الشافعي بنية أن يصبح ماهرًا في الرمي، فكان يصيب من كل عشرة تسعة. **(قاله الحافظ)**

٤- ماء زمزم طعام طعم:

فقد** أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ﷺ في خبر إسلامه، وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر:* " مَتَى كُنْتَ هَا هُنَا؟" قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَا هُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ، بين لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ. قَالَ ﷺ:" فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟" قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِيَ طَعَامٌ إلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حتى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي [١]، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ [٢]. قال ﷺ:" إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْم...."*. الحديث

وأخرج البزار والطبراني في الكبير والصغير من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " زمزم طعام طعم، وشفاء سقم ". (صحيح الجامع ٣٥٧٢)

- وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الطُّفَيْل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: " كنا نُسَمِّيها شَبَّاعةً، يعنى زمزم، وكنا نجدها نعم العَوْنِ على العيال ". (الصحيحة: ٢٦٨٥)

وقول ابن عباس- رضى الله عنهما-: " وكنا نجدها نعم العون على العيال" يوضحه قول أبيه العباس بن عبد المطلب حيث قال: تنافس الناس في زمزم في الجاهلية، حتى إن كان أهل العيال يغدون بعيالهم، فيشربون، فيكون صبوحا لهم، وقد كنا نعدها عونًا على العيال ".

٥- ماء زمزم شفاء سقم:

مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" زمزم مباركة، أنها طعام طعم، وشفاء سقم ".

واخرج ابن حبان من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

"خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام الطعم وشفاء السقم". (صحيح الجامع: ٣٣٢٢)

ومما يدل على أن ماء زمزم شفاء من الأمراض والأسقام:

ما رواه الترمذي والبخاري في الكبير من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم في الأداوى والقِرب، وكان يصب على المرضي ويسقيهم ". (الصحيحة: ٨٨٣)

- ***يقول عباد بن عبد الله بن الزبير:*** لما حج معاوية حججنا معه، فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين، ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا، فقال: انزع لي منها دلوًا يا غلام. قال: فنزع له دلوًا، فأتى به فشرب وصب على رأسه ووجهه وهو يقول: " زمزم شفاء، وهي لما شُرب له ".

(قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: إسناده حسن مع كونه موقوفًا)

١- تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي: عُكَن: جمع عُكْنَة، وهو ما انطوى وتَثَنَّى من لحم البطن سِمَنًا، ومعنى تكسَّرت: أي: انثنت وانطوت طاقات لحمِ بطنِه.
٢- سُخْفَةَ جُوعٍ: بفتح السِّين وضمِّها، وهي: رقَّة الجوع وضعفُه وهُزَالُه.

- ***ويقول ابن القيم -رحمه الله -:***" وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة واستشفيت به من عدة أمراض، فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبًا من نصف شهر أو أكثر، ولا يجد جوعًا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني، أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مرارًا ". (زاد المعاد:٤٠٦/٣) (الطب النبوي ص٣٩٣)

- ***وقال أيضا كما في زاد المعاد :٤/ ١٧٨":*** ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، أي: بفاتحة الكتاب، آخذ شربه من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع ". اهـ

٦- التضلع من ماء زمزم مفارقة عن المنافقين:

فقد أخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" إِنَّ آيَةَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ إِنَّهُمْ لَا يَتَضَلَّعُونَ[1] مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ".

(صححه الشيخ عبد الله بن حمد الحميدان في تحقيق المستدرك، وضعفه الألباني في الإرواء: ٣٢٨/٤، وفي ضعيف الجامع: ٢٢)

قال الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله- في الشرح الممتع: ٣٧٩/٧:" وذلك لأن ماء زمزم ليس عذبًا حلوًا بل يميل إلى الملوحة والإنسان المؤمن لا يشرب من هذا الماء الذي يميل إلى الملوحة إلا إيمانًا بما فيه من البركة فيكون التضلع منه دليلًا على الإيمان ".

٧- ماء زمزم غسل بها قلب النبي- صلى الله عليه وسلم-:

من الأمور الدالة على فضل ماء زمزم أن الله ﷻ اختار هذا الماء ليغسل به صدر النبي ﷺ قبل الإسراء والمعراج لملاقاة ربه ﷻ.

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فُرِجَ سَقْفِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا... " . ***الحديث***

قال السهيلي -رحمه الله-: لما كانت زمزم هزمة جبريل روح القدس لأم إسماعيل جد النبي ﷺ ناسب أن يغسل بمائها عند دخول حضرة القدس ومناجاته.

وقال سراج الدين البلقيني-رحمه الله-:" إن ماء زمزم أفضل من الكوثر، لأنه غُسل صدر النبي ﷺ به، ولم يكن يُغسل إلا بأفضل المياه ". (العقد الثمين: ٩٢/١)

١- التضلع: هو الإكثار من الشرب حتى يتمدد الجنب والأضلاع، فيقال: شرب فلان حتى تضلع: أي انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب.

٨- ماء زمزم يتحف به الضيفان، ويحمله الركبان:

- روى مجاهد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" كان إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم، ولا أطعم قومًا طعامًا إلا سقاهم من ماء زمزم".

- واخرج الترمذي أن النبي ﷺ قال:" ابن السبيل أول شارب ". يعنى: من زمزم (صحيح الجامع: ٤٤)

- وأخرج البيهقي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله ﷺ يحمل ماء زمزم- يعني خارج مكة- ". (الصحيحة: ٨٨٣)

- وأخرج البيهقي بسند جيد " أن النبي ﷺ كان يرسل- وهو في المدينة قبل أن تفتح مكة - الى سهيل ابن عمرو أن أهدِ لنا من ماء زمزم ولا تترك ". فيبعث إليه بمزادتين "

قال أحدهم:

يا طيب زمزم مطعمًا أو مشربًا	تهفو لورد نعيمه الارواحُ
جبريل أطلقه بهزِّ جناحه	فإذا به مسترسل ينداحُ
الله أودعه عناصر رُكِّبت	فيه يُحارُ بكنهها الشُّراحُ
فتضلعوا من مائه وادعوا فقد	جاءت أحاديث بذاك صحاحُ
من قال زمزم قُدِّست أسرارها	عند الإله فما عليه جُناحُ

فضل سقاية الحجاج

- أخرج البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:" إن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية، فاستسقى، فقال العباسُ: يا فضلُ، اذهب إلى أمك، فائت رسول الله ﷺ بشراب من عندها. فقال:" اسقني ". قال: يا رسول الله، إنهم يجعلون أيديهم فيه. قال: " اسقني ". فشرب منهم. ثم أتى زمزم، وهم يستقون ويعملون فيها، فقال: " اعملوا، فإنكم على عملِ صالح "، ثمَّ قال ﷺ:" لولا أن تُغلَبوا، لنزلتُ حتى أضَعَ الحبلَ على هَذِهِ "؛ يعنى: عاتقه، وأشار إلى عاتقه ".

فضل الهَدْى في يوم النحر

اعلم أخي الحبيب أن يوم النحر هو أفضل الأيام عند الله ﷻ.

- ***فقد أخرج الإمام أحمد وأبو دواد من حديث عبدالله بن قُرْطٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القَرّ [1] ".

وأفضل ما يقدم في اليوم المبارك هو النحر والذبح:

- ***فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:***

" ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفسًا ".

(صحيح الألباني في مشكاة المصابيح: ١٤٧٠)

- ***وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** " أفضل الحج: العَج [2] والثج [3] ". (صحيح الجامع: ١١٠١)

النحر والذبح علم من أعلام الملة الإبراهيمية، وشعيرة من شعائر الأمة المحمدية:

قال تعالى: ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ (الحج: ٢٨)

وهذه كناية عن نحر الذبائح في أيام العيد وأيام التشريق الثلاثة بعده. والقرآن يقدم ذكر اسم الله المصاحب لنحر الذبائح، لأن الجو جو عبادة؛ ولأن المقصود من النحر هو التقرب إلى الله، ومن ثم فإن أظهر ما يبرز في عملية النحر هو ذكر اسم الله على الذبيحة، وكأنما هو الهدف المقصود من النحر لا النحر ذاته.

والنحر ذكرى لفداء إسماعيل عليه السلام، فهو ذكرى لآية من آيات الله وطاعة من طاعات عَبْدَيه إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – فوق ما هو صدقة وقربى لله بإطعام الطعام.

يقول ابن القيم في قصيدته الميمية ذاكرًا ما كان الوقوف بعرفة

وراحـــوا إلى جميع فباتـوا بمشعر	الحرام وصلوا الفجر ثم تقدمـــوا
إلى الجمـــرة الكبرى يريدون رميها	لوقـــت صلاة العيد ثـــم تيمموا
منازلهـــم للنحـــر يبغـــون فضـــله	وإحيـــاء نسك مـــن أبيهم يعظمُ
فلو كـان يرضي الله نحـــر نفوسهم	لدانـــوا بـــه طوعًا وللأمر سلمـوا
كمـــا بـــذلوا عند الجهـاد نحورهـم	لأعدائـــه حتى جـــرى منهمُ الدمُ

١ - هو الغد من يوم النحر، وهو حادي عشر من ذي الحجة؛ لأن الناس يقرون بمني؛ أي: يقيمون.
٢ - العج: رفع الصوت عاليًا بالتلبية والتكبير.
٣ - الثج: سيلان دم الهدايا والأضاحي، والمقصود: هو نحر البُدن .

فضل من وقف بعرفة حاجًّا

بداية وقبل الحديث عن " فضل من وقف بعرفة حاجًّا " لنا وقفة مع فضل هذا اليوم.

١ - يوم عرفة أقسم الله به، وكفى بهذا الشرف:

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ (البروج:١-٣)

قال أبو هريرة ﷺ ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة ".

(أخرجه ابن جرير والحاكم والبيهقي بسند صحيح، وقد روى مرفوعًا ولا يصح)

٢ - يوم عرفة، هو اليوم الذي أخرج الله من ظهر آدم ذريته، وأخذ عليهم الميثاق:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بـ (نعمان) يوم عرفة، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذَّرِّ، ثم كلمهم قبلًا قال: " ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى ". (الصحيحة: ١٦٢٣) (صحيح الجامع: ١٧٠١)

٣ - يوم عرفة أكمل الله لنا فيه الدين:

فقد نزل في يوم عرفة قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣)

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث طارق بن شهاب قال: " جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين ! آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال: أي آية؟ قال قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ".

٤ - يوم عرفة هو أثقل وأشد الأيام على الشيطان:

فقد أخرج الإمام مالك في " الموطأ "عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب ".

٥- صيام يوم عرفة (لغير الحاج) يكفر الله به سنتين: سنة قبله، وسنة بعده:

-فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي قتادة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة فقال: يكفر السنة الماضية والباقية *-وفي رواية:* " صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله ".

٦- الله- تعالى- يباهى بأهل عرفات الملائكة:

- فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله تعالى يباهى بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شُعْثًا (١) غُبْرًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣٢) (صحيح الجامع: ١٨٦٧)

- وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" وإن الله ﷻ يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٥٣) (صحيح الجامع: ١٨٦٨)

- وأخرج ابن حبان والطبراني في الكبير عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:
" فإذا وقفت بعرفة، فإن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا، اشهدوا إني قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قطر السماء، ورمل عالج ".
(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣١)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:" ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ".

وأخرج الطبراني والبزار واللفظ له من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لرجل من ثقيف في حديث طويل وفيه " ..... وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا، فيباهى بكم الملائكة يقول: عبادي جاءوني شعثًا من كل فج عميق يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم، ولمن شفعتم له ....." الحديث (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٢)

قال المناوي-رحمه الله-في " فيض القدير :٢/٢٧٦ – ٢٧٧":" قال في المطامح: وذا يقتضي الغفران وعموم التكفير؛ لأنه لا يباهى بالحاج إلا وقد تطهر من كل ذنب، إذ لا تُباهى الملائكة وهم مطهرون إلا بمطهِّرٍ، فينتج أن الحج يكفّر حق الحق، وحق الخلق، حتى الكبائر والتبعات ولا حجر على الله في فضله، ولا حق بالحقيقة لغيره، وفيه أفضلية عرفة حتى على النحر، وهو ما عليه الأكثر، وإنما سُمى الموقف عرفة؛ أنه نعت لإبراهيم -عليه السلام- فلما أبصره عرفه؛ أو لأن جبريل كان يدور في المشاعر فلما رآه قال: قد عرفت، أو لأن الناس يتعارفون فيه ". اهـ

١- الشعث: بكثر العين: هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله.

- ***وأخرج ابن ماجه من حديث بلال بن رباح ﷺ أن النبي ﷺ قال له غداة جَمع:*** **" يا بلال أسْكِت الناس- أو أنْصِت الناس- ثم قال: إن الله تطاولَ عليكم[1] في جمعِكم هذا فوهبَ مسيئكم لمحسِنِكم، وأعطى محسِنَكم ما سأل، ادفعوا بسم الله ".** (الصحيحة: ١٦٢٤) (صحيح الجامع: ١٧٣٤)

٧- *وأفضل الدعاء دعاء الحجاج يوم عرفة:*

فقد أخرج الطبراني من حديث عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[2] ".**

(الصحيحة: ١٥٠٣)

وأخرج الإمام مالك والبيهقي في " الشعب": عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أفضل الدعاء: دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ".**

(الصحيحة: ١٥٠٣) (صحيح الجامع: ١١٠٢)

قال ابن عبد البر -رحمه الله- كما في" التمهيد :٦/ ٤١":" وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب، وأن أفضل الذكر:" **لا إله إلا الله** ". اهـ

وقال الخطابي -رحمه الله- معلقًا على الحديث: " ومعناه: أكثر ما أَفْتَتِح به دعائي، وأقدمه أمامي من ثنائي على الله ﷻ وذلك أن الداعي يفتتح دعاءه بالثناء على الله ﷻ ويقدمه أمام مسألته فَسُمِّي الثناء دعاءً ". اهـ

فطوبى لعبد وفق للدعاء في يوم الدعاء.

ولله در ابن القيم – رحمه الله – حين يصور ذلك الموقف:

وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة ... ومغفـــرة ممـــن يجـــود ويكـــرم
فلله ذاك الموقـف الأعظـم الـذي ... كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم
ويـدنو بـه الجبـار جـل جـلاله ... يبـــاهى بهـــم أملاكـــه فهو أكرم

١- تطاول عليكم: من طاول: مفاعلة من الطَّوْل بالفتح، وهو الفضل والعلو" النهاية في غريب الحديث لابن الأثير " والمعنى أن تفضل عليكم من واسع كرمه.
٢- ضعف هذا الحديث بعض أهل العلم، وحسنه الألباني في الصحيحة، وصحيح الجامع، وحسنه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب الأذكار للنووي في١ / ١٤٧)

فضل رمي الجمار

١ - اتباع ملة إبراهيم - عليه السلام - وتبرؤ من الشيطان وذلك برجمه:

- فقد أخرج ابن خزيمة والحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ[1] في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٥٦)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون".

٢ - كل حصاة يرميها الحاج تكفر كبيرة من الموبقات:

- كما مر بنا الحديث الذي أخرجه الطبراني والبزار واللفظ له من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال في حديث له: " ... وأما رميك الجمار، فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٢)

٣ - له بكل حصاة نور يعطاه يوم القيامة:

ففي الحديث الذي أخرجه البزار من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" إذا رميت الجمار كان لك نورًا يوم القيامة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٥٧) (الصحيحة: ٢٥١٥)

٤ - رمى الجمار مدخور للعبد عند الله - تعالى - يجد ثوابه يوم القيامة:

- فقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ قال في حديث طويل وفيه ".... وأما رَميك الجمار فقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:١٧) (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٣)

---

١ - ساخ: أي غاص في الأرض.

فضل وثواب حلق الرأس

١- الحاج أو المعتمر يعطى بكل شعرة حلقها حسنة، ويمحى عنه بها خطيئة، وله بكل شعرة نور يوم القيامة:

أما كون حلاقة الشعر للحاج أو المعتمر يكتب له بكل شعرة حلقها حسنة، ويمحى عنه بها خطيئة فدليله: *ما مر بنا من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال في حديث له طويل وفيه:* " ... وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، ويمحى عنك بها خطيئة ".

(رواه الطبراني والبزار واللفظ له وهو في صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٢)

- *وعند الطبراني من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:* " وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طُفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ".

(صحيح الجامع: ١٣٦٠)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " اللهم اغفر للمحلقين " قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: " اللهم اغفر للمحلقين" قالوا: يا رسول الله وللمقصرين، قال: " اللهم اغفر للمحلقين" قالوا: يا رسول الله وللمقصرين قال: " وللمقصرين ".

- *وأخرج الإمام أحمد و الطبراني في الأوسط من حديث مالك بن ربيعة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول:* " اللهم اغفر للمحلقين، اللهم اغفر للمحلقين"، فقال رجل من القوم: وللمقصرين فقال رسول الله ﷺ في الثالثة أو الرابعة: وللمقصرين"، ثم قال: - وأنا يومئذ محلوق الرأس- فما يسرني بحلق رأسي حُمْرُ النَّعمِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٦٠)

- *وعند الإمام مسلم من حديث أمِّ الحُصَيْن -رضي الله عنها-* أنها سمعت النبي ﷺ في حجة الوداع دعا للمحلقين ثلاثًا وللمقصرين مرة واحدةً.

٢- كل شعرة تقع من الحاج أو المعتمر على الأرض تكون له نورًا يوم القيامة:

- *وأخرج الطبراني في الأوسط عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في حديث له:*

" وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض إلا كانت لك نورًا يوم القيامة ... ".

(صحيح الترغيب: ١١١٣)

الحج المبرور يكفر الخطايا ويهدم ما كان قبله من الذنوب

- ***فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن شماسة قال:*** " حضرنا عمرو بن العاص ﷺ وهو في سياقة الموت فبكى طويلًا وقال: في حديثه ".... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك، فبسط يده، فقبضت يدي، فقال:" مالك يا عمرو؟" قلت: أردت أن أشترط قال: " تشترط ماذا؟ قلت: أن يُغفر لي، قال: " أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدمُ ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ ".

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي و النسائي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " تابعوا بين الحج والعمرة [1]، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٥) (صحيح الجامع: ٢٩٠١)

- ***وعند ابن ماجه من حديث عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد ". (صححه الألباني في صحيح ابن ماجه)

- ***وفي رواية عند الطبراني في الأوسط من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد ".

(الصحيحة: ١٠٨٥) (صحيح الجامع: ٢٥٣)

وخصّ الحديد بالذكر لأنه من أشد المعادن صلابة وأكثرها خبثًا، إشارة إلى أن الفقر وإن اشتد، والذنوب وإن عظمت، يزيلها المداومة على الحج والعمرة.

قال المناوي في فيض القدير: ١/ ٢٣٤: " واظبوا وتابعوا ندبًا، وأتوا بهما على الدوام، لوجه الله، فإنهما ينفيان الفقر، وكل منهما على حدته ينفي الفقر، وقد جاء في الخبر " ما أمعر حاج قط " أي: ما افتقر ولا احتاج، ثم شبه ذلك تشبيه معقول محسوس، كما ينفي الكير وسخ الحديد الذي تخرجه النار، فإنه في كل مرة يخرج منه خبث، فلا ينفي خبثه إلا بتتابع دخوله وتكراره، والفقر وإن اشتد، والذنوب وإن خبثت وعظمت يزيلها المداومة على النسكين ". اهـ بتصرف واختصار

- ***وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال رسول الله ﷺ:*** " .... فإن لك من الأجر إذا أممْتَ البيت العتيق أن لا ترفع قدمًا، أو تضعها أنت ودابتُك، إلا كتبت لك حسنةٌ، ورفعت لك درجةٌ، وأما وقوفك بعرفة، فإن الله ﷻ يقول لملائكته: يا ملائكتي ما جاء بعبادي؟ قالوا جاءوا يلتمسون رضوانك والجنة، فيقول الله ﷻ: فإني أشهد نفسي وخلقي إني قد غفرت لهم، ولو كانت ذنوبهم عدد أيام الدهر، وعدد رمل عَالِجٍ، وأما رميك الجمار، قال الله ﷻ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة:١٧) وأما حلقك رأسك، فإنه ليس من شعرك شعرة تقع على الأرض إلا كانت لك نورًا يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت إذا ودعت فإنك تخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٣)

١- تابعوا بين الحج والعمرة: قال المناوي- رحمه الله- " في فيض القدير: ٢٢٥/٣ ": أي إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجوا ".

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:*** **" من حج فلم يرفث[1]، ولم يفسق[2]، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه "** - ***وفي رواية:*** **" رجع كيوم ولدته أمُّه ".**

- ***وعند مسلم بلفظ:*** **" من أتى البيت فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمُّه ".**

- ***قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: ٣/ ٣٨٢:*** وهذا اللفظ يشمل الحج والعمرة.

- ***وقال أيضًا:*** وظاهر الحديث غفران الصغائر والكبائر والتبعات. اهـ

وهذا الحديث السابق من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس ﷺ الذي رواه ابن ماجه .

فقد أخرج ابن ماجه والإمام أحمد من حديث العباس بن مرداس ﷺ : **" أن النبي ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة، فأجيب: إني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم منه، قال: أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم، فلم يجب عشية، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء؛ فأجيب إلى ما سأل فضحك رسول الله ﷺ (أو قال تبسم)، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها، فما الذي أضحك؟ أضحك الله سنك [3]، قال: إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي ؛ أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيت من جزعه [4]".**

وهذا الحديث وإن كان قد ضعفه الشيخ الألباني-رحمه الله- في " ضعيف سنن ابن ماجه " إلا أن البيهقي والحافظ ابن حجر قد حسنا هذا الحديث بالنظر إلى مجموع الطرق، أضف إلى هذا أن له شواهد تشهد لمعناه ومنها: -

- ***ما رواه ابن المبارك بإسناد جيد عن أنس بن مالك ﷺ قال:*** **" وقف النبي ﷺ بعرفات، وقد كادت الشمس تؤوب [5] ، فقال: يا بلال أنصت إليّ الناس، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ ، فأنصت الناس، فقال: معشر الناس، أتاني جبريل آنفا، فأقرأني من ربي السلام، وقال: إن الله ﷻ غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر (الحرام)، وضمن عنهم التبعات [6] فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال: يا رسول الله ! هذا لنا خاصة؟ قال: هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة، فقال عمر بن الخطاب: كثر خير الله وطاب ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٥١)

١- الرفث: يطلق ويراد به الجماع، ويطلق ويراد به الفحش من القول، ويطلق ويراد به خطاب الرجل للمرأة فيما يتعلق بالجماع، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يخصه بما خوطب به النساء.
وقال الأزهري -رحمه الله-:" الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة ". (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: ٢/ ٢٤١) وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (فلا رفث): أي من أحرم بالحج أو العمرة فليجتنب الرفث، وهو الجماع، كما قال تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) (البقرة: ١٨٧) وكذلك يحرم تعاطى دواعيه: من المباشرة، والتقبيل، ونحو ذلك، وكذلك التكلم به بحضرة النساء (تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٢٤٢).

٢- ولم يفسق: أصل الفسوق الخروج عن الاستقامة، والجور، وبه سمى العاصي فاسقًا. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ٣/ ٤٤٦) ولا شك أن الفسوق: هو جميع المعاصي كما قال الله تعالى: (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق) (البقرة: ١٩٧) فيدخل في الفسوق جميع المعاصي كما صوبه الإمام ابن كثير في تفسيره، ٢/ ٢٤٤، ومن ذلك الوقوع في محظورات الإحرام، والسباب، والشتم، كما قال النبي ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) أخرجه البخاري ومسلم) وغير ذلك من أنواع المعاصي.

٣- قال الحافظ في "الفتح: ٧/ ٤٧ ": معنى" أضحك الله سنك": لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازمه وهو السرور، أو نفي ضد لازمه وهو الحزن

٤- هذا هو حال الشيطان في هذا اليوم، فقد أخرج مالك في " الموطأ " عن طلحة بن عبيد الله ﷺ.
أن رسول الله ﷺ قال:" ما رؤى الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذلك إلا لما رأي ما تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب".

٥- تؤوب: أي تغرب، والأوب هو الرجوع، لأنها ترجع بالغروب إلى الموضع الذي طلعت منه " النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ".

٦- التبعات: مفرد تبعه: والتبعة: ما يتبع المال من نوائب الحقوق، وهو من تبعت الرجل بحقي (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير).

- ***وأخرجه أبو يعلى بإسناده وفيه أن رسول الله ﷺ قال:*** " **إن الله تطول على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة، يقول: يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا أقبلوا يضربون إليّ من كل فجٍ عميق، فأُشهدُكم أني قد أجبتُ دعاءهم وشفعتُ رغيبهم ووهبتُ مسيئهم لمحسنهم، وأعطيتُ لمحسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم، فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب، فيقول الله- تعالى- لملائكته: يا ملائكتي، عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني قد أجبتُ دعاءهم وشفعتُ رغيبهم ووهبتُ مسيئهم لمحسنهم، وأعطيتُ محسنهم جميع ما سألوني وكفلتُ عنهم التبعات التي بينهم** " .

- ***وقد مر بنا الحديث الذي رواه ابنُ ماجه عن بلال بن رباح ﷺ أن النبي ﷺ قال له غداة جَمع:*** " **يا بلال أسكت الناس** "، أو" **أنصت الناس**"، **ثم قال:**" **إن الله تطاول عليكم** [1] **في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا بسم الله** ". (الصحيحة: ١٦٢٤) (صحيح الجامع: ١٧٣٠)

وبهذه الأحاديث أخذ بعض أهل العلم فقالوا: أن الحاج يغفر له جميع الذنوب

- واستنبط بعضهم ذلك من مباهاة الملائكة بالحجاج، لأن الملائكة مطهرون مطلقًا ولا يباهى المطهر المطلق إلا بمطهر مطلق.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء:٤٨) وظلم بعضهم بعضًا دون الشرك.

- ***قال المناوي -رحمه الله- كما في " فيض القدير: ٦/١١٥":*** وفي قول النبي ﷺ: " **من حج لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه** " أي خلوه من الذنوب وهو يشمل الكبائر والتبعات، وإليه ذهب القرطبي وعياض، لكن قال الطبري: وهو محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها ".

وقال الترمذي -رحمه الله-: " هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا بحقوق العباد، ولا يسقط الحق نفسه، بل من عليه صلاة يسقط عنه إثم تأخيرها لا نفسها ". اهـ

وخلاصة الأمر: وخروجًا من هذا الخلاف بين أهل العلم في كونه يُغفر له الذنوب والتبعات أم لا؟ فينبغي على من أراد الحج قضاء الدَّين، ورد المظالم، والتوبة من جميع الذنوب قبل التوجه إلى بيت الله الحرام، حتى يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

١- تطوّل عليكم: من طاول: مفاعلة من الطَّوْل بالفتح، وهو الفضل والعلو" النهاية في غريب الحديث لابن الأثير " والمعنى أن تفضل عليكم من واسع كرمه.

الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة

- ***فقد أخرج الطبراني بإسناد جيد عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلًا، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه ".

- ***وعند أحمد والترمذي من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال:*** " قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ".

فالله- عز وجل- لم يرض لقاصد بيته ثوابًا دون الجنة.

- ***فقد أخرج الإمام أحمد و الطبراني من حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال:*** " الحجُّ المبرورُ ليسَ له جزاءٌ إلا الجنة " قيل: وما بِرُّهُ ؟ قال: " إطعامُ الطعامِ وطيبُ الكلامِ ". (صحيح الجامع: ٢٨١٩)

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما [١] والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ".

- ***وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير [٢] خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة ". (الصحيحة: ١٢٠٠) (صحيح الجامع: ٢٩٠١)

- **قال المناوي -رحمه الله- كما في " فتح القدير: ٣ /٤٠٦ ":** " لا يقتصر الحج لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه فقط، بل لابد أن يدخله مع السابقين، أو يدخله الجنة بغير حساب، وإلا فكل مؤمن يدخلها وإن لم يحج ". اهـ بتصرف

١- كفارة لما بينهما: أي لما يقع بينهما من الذنوب.
٢- الكير: زق ينفخ فيه الحداد، والمبنى من الطين يُسمى كور.

حديث جامع في فضل وثواب الحج

- ***أخرج البزار وابن حبان واللفظ له من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:*** " جاء رجلٌ من الأنصار النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله كلمات أسأل عنهن فقال ﷺ: اجْلِسْ، وجاء رجلٌ من ثقيف فقال: يا رسول الله كلمات أسأل عنهن، فقال رسول الله ﷺ:" سبقك الأنصاري"، فقال الأنصاري: إنه رجل غريب وإن للغريب حقًا فابدأ به، فأقبل على الثقفي فقال:" إن شئت أنبأتك عما جئتَ تسألني عنه، وإن شئتَ تسألني وأنا أخبرك"، فقال: يا رسول الله أجبني عما جئتُ أسألك، فقال:" جئتَ تسألني عن الركوع والسجود والصلاة والصوم"، فقال: والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئًا. قال:" فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ثم فرج أصابعك ثم اسكن حتى يأخذ كل عضو مأخذه، وإذا سجدت فمكن جبهتك ولا تنقر نقرًا وصل أول النهار وآخره"، فقال: يا نبى الله فإن أنا صليت بينهما؟ قال:" فأنت إذن مصل. وصم من كل شهر ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة "، فقام الثقفي ثم أقبل النبي ﷺ على الأنصاري فقال:" إن شئتَ أخبرتك عما جئت تسألني وإن شئتَ تسألني وأخبرك "، فقال: لا يا نبى الله أخبرني عما جئتُ أسألك: فقال:" جئتَ تسألني عن الحاج ما له حين يخرج من بيته؟ وما له حين يقوم بعرفات؟ وما له حين يرمى الجمار؟ وما له حين يحلق رأسه؟ وما له حين يقضى آخر طواف بالبيت؟" فقال: يا نبى الله والذي بعثك بالحق ما أخطأت مما كان في نفسي شيئًا. فقال:" فإن له حين يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة إلا كتب له بها حسنة أو حط عنه بها خطيئة، فإذا وقف بعرفة فإن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: انظروا إلى عبادي شعثًا غبرًا اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج [1]، وإذا رمى الجمار لا يدري أحد ما له حتى يتوفاه الله يوم القيامة، فإذا قضى أخر طواف بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٥٥)

- فالله تعالى جعل قصد البيت للحج مكفرًا لما سلف من الذنوب، ماحيًا للأوزار والعيوب، حاطًّا للخطايا.. يخرج الحج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

- ***وعند الطبراني في " المعجم الكبير بلفظ:*** " أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأةٍ تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة. وأما وقوفك بعرفة: فإن الله – عز وجل – ينزل إلى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شُعثًا غُبرًا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطرِ السماء ذنوبًا غسلها الله عنك. وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك. وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمُّك ". (صحيح الجامع: ١٣٦٠)

---

١ ـ رمل عالج: هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

- ***وأخرج الطبراني والبزار واللفظ له من حديث ابن عمرَ -رضي الله عنهما- قال:*** **" كنت جالسًا مع النبي ﷺ في مسجد مِنى فأتاه رجلٌ من الأنصار، ورجلٌ من ثقيف، فسلما ثم قالا: يا رسول الله! جئنا نسألك فقال:" إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألان عنه فعلتُ، وإن شئتما أمسك وتسألاني فعلت"، فقالا: أخبرنا يا رسول الله، فقال الثقفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله، فقال: "جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن حلقك رأسك وما لك فيه ، وعن نحرك (وما) لك فيه، مع الإفاضة فقال: والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك، فقال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفًا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحى عنك خطيئة [1]. وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل. وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة. وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة، يقول: عبادي جاءوني شعثًا من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم له. وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفيره كبيرة من الموبقات. وأما نحرك فمدخور لك عند ربك. وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة وتمحى عنك بها خطيئة. وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفك فيقول: اعمل فيما يستقبل، فقد غفر لك ما مضى".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٢)

فأي كرامة بعد هذه الكرامة التي أعدها الله لزوار بيته، وحجاج حرمه ووفده، يغسل ذنوبهم، ويطهر نفوسهم، ويبارك لهم في أعمالهم، ويخلف عليهم ما أنفقوا، ويستجيب دعاءهم، وينظر إليهم ويباهى بهم الملائكة، ويجزيهم بما عملوا جنات تجرى من تحتها الأنهار ويكفهم شر النيران

١ - وفي رواية عن البزار وابن حبان من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما ترفع إبل الحاج رجلًا، ولا تضع يدًا، إلا كتب الله تعالى له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفعه بها درجة ". (صحيح الجامع: ٥٥٩٦)، فعلى قدر الخطوات تكتب الحسنات، وتمحى السيئات والزلات، وترفع الدرجات، فاللهم أرزقنا زيارة بيتك الحرام.

فضل الصلوات في المسجد الحرام، ومسجد الحبيب النبي ﷺ، ومسجد قباء

أولًا: فضل الصلاة في مسجد النبي- صلى الله عليه وسلم-:

- *أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عمرَ -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:* " صلاةٌ في مسجدي هذا أفضل من صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " صلاةٌ في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ".

- *وأخرج البزار عن عائشة - رضي الله عنها- قال: قال رسول الله ﷺ:* " أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحق المساجد أن يزار وتشد إليه الرواحل: المسجد الحرام، ومسجدي، وصلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٥)

- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال:* " دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله! أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ فأخذ كفا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال:" هو مسجدكم هذا "، لمسجد المدينة ".

- *وعند النسائي بلفظ* " تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، فقال رجلٌ: هو مسجد قباء، وقال رجل: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ "هو مسجدي هذا ".

- *وأخرج ابن حبان من حديث سهل بن سعد ﷺ قال:* اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى . فقال أحدهما: هو مسجد المدينة، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتوا رسول الله ﷺ فقال: "هو مسجدي هذا ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٧)

ما بين بيت النبي ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة، ومن صلى في هذا المكان يرجى له دخول الجنة

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن زيد المازني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ".

- *وفي رواية لمسلم:* " ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ".

- ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** **" ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي** [1] **"**.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري: ٤/١٠٠": وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سكنى المدينة، وقوله: "**روضة من رياض الجنة**" أي: في نزول الرحمة، وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدية إلى الجنة، أو المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينة في الآخرة إلى الجنة. اهـ

وقال النووي-رحمه الله- كما في" شرحه على مسلم: ٩/١٦١": ذكروا في معناه قولين: أحدهما: أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة، والثاني: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة ". اهـ

وهذا ما قرره القاضي عياض-رحمه الله -حيث قال في كتابه" الشفا بتعريف حقوق المصطفي ﷺ: ٢/٩٢": وقوله " **روضة من رياض الجنة** " يحتمل معنيين: أحدهما: أنه موجب لذلك، وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب، كما قال: "**الجنة تحت ظلال السيوف** "والثاني: أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها (قاله الداودي) ". اهـ

والخلاصة أن معنى هذا الحديث يحتمل ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن هذا المكان يشبه روضات الجنات في حصول السعادة والطمأنينة لمن يجلس فيه.

الوجه الثاني: أن العبادة في هذا المكان سبب لدخول الجنة. " اختاره ابن حزم في المحلى: ٧/٢٨٤ ".

الوجه الثالث: أن البقعة التي بين المنبر وبيت النبي ﷺ ستكون بذاتها في الآخرة روضة من رياض الجنة.

١ـ ومنبري على حوضي: قال القاضي: قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه، الذي كان في الدنيا، قال: وهذا هو الظاهر.

ثانياً: فضل الصلاة في المسجد الحرام:

- ***أخرج الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه "**

(صحيح الجامع: ٣٨٣٨)

- ***وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:***

" صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاةٍ في مسجدي هذا بمائة صلاة ". (صحيح الجامع: ٣٨٤١)

وهذا فضل عظيم، وثواب كبير، **لكن هنا سؤال" يطرح نفسه وهو: أيهما أفضل؟ الطواف بالبيت أو صلاة النافلة في المسجد الحرام؟**

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: الطواف بالبيت أفضل، وبه قال بعض علماء الشافعية، واستدلوا بأن الله قدم الطواف على الصلاة في قوله: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة:١٢٥)

وقوله: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (الحج:٢٦)

والقول الثاني: الصلاة أفضل لأهل مكة، والطواف أفضل للغرباء، وممن قال بهذا القول: ابن عباس، وعطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد، كما نقله عنهم النووي في شرح المهذب. (أضواء البيان: ٢٢٩/٥)

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: " في التفضيل بين كثرة النافلة وكثرة الطواف خلاف، والأرجح أن يكثر من هذا وهذا، ولو كان غريبًا، وذهب بعض أهل العلم إلى التفضيل، فاستحبوا الإكثار من الطواف في حق الغريب، ومن الصلاة في حق غيره، والأمر في ذلك واسع ولله الحمد ".

(مجموع فتاوى ابن باز: ١٣٨/١٦، ٢٢٥/١٧) (مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤٨/٢٦)

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، ٢٩٠/٢٦: " جمهور أهل العلم على أن الطواف بالبيت أفضل من الصلاة بالمسجد الحرام ".

ثالثا: فضل الصلاة في مسجد قباء:

ومسجد قباء هو أول مسجد بُني في الإسلام عندما وصل النبي ﷺ إلى قباء مهاجرًا من مكة وقد شارك النبي ﷺ في بنائه، ومسجد قباء يقع في الجنوب الغربي للمدينة، ويبعد عن المسجد النبوي قرابة خمسة كيلومترات، وكان النبي ﷺ يقصده بين الحين والآخر ليصلي فيه، وكان يأتيه تارة راكبًا، وتارة ماشيًا فيصلي فيه ركعتين

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال:*** **" كان النبي ﷺ يزور قُباء، أو يأتي قُباء راكبًا وماشيًا. *زاد في رواية:* " فيصلي فيه ركعتين ".**

- ***وفي رواية للبخاري والنسائي:*** **أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبًا وماشيًا، وكان عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يفعله ".**

والصلاة في مسجد قُباء تعدل أجر عُمرة:

-فقد أخرج الترمذي من حديث أُسيد بن ظهير الأنصاري [1] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" صلاة في مسجد قباء كعمرة ".** (صحيح الجامع: ٣٨٧٢)

- وأخرج الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصل فيه صلاة [2] كان له كأجر عمرة ".

(صحيح الجامع: ٦١٥٤)

- وأخرج ابن حبان عن ابن عمر- رضي الله عنهما - **أنه شهد جنازة بالأوساط في دار سعد بن عبادة فأقبل ماشيًا الى بنى عمرو بن عوف بفناء الحارث بن الخزرج، فقيل له: أين تؤم [3] يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: أؤم هذا المسجد في بنى عمرو بن عوف - يقصد مسجد قباء - فإني سمعت رسول الله ﷺ: يقول: من صلى فيه كان كعدل عمرة ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨٤)

وأخرج الحاكم عن عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد -رضي الله عنهم- أنهما سمعا أباهما ﷺ يقول: **" لأن أصلي في مسجد قباء أحب إلى من أن أصلي في مسجد بيت المقدس ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٨٣)

---

١ - قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله - ولا نعرف لأُسيد بن ظهير حديثا صحيحا غير هذا. والله أعلم
٢ - وقوله" فصلى فيه صلاة ": يشمل الفرض والنفل.
٣ - تؤم: تقصد.

تتمة للفائدة نذكر فوائد ومقاصد ومنافع الحج [1]، ومنها:

١- الحج امتثال لأمر الله وإجابة لأمره لإبراهيم بالدعوة إليه:

لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)

ولقوله تعالى لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٧،٢٨)

ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: " أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحُجوا " فقال رجل: أكل عام يا رسول الله، فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: " لو قلتُ: نعم لوجبت، ولما استطعتم، ذروني ما تركتكم ؛ فإنما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ". (رواه مسلم)

٢- تعظيم شعائر الله وحُرماته:

فمن أعظم المنافع للحج تعظيم شعائر الله تعالى وحرماته، وهذه المنفعة من أعظم العبادات لله تعالى.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)

قال ابن الأثير-رحمه الله-: وشعائر الحج: آثاره، وعلاماته، جمع شعيرة، وقيل: هو كل ما كان من أعماله: كالوقوف، والطواف، والسعي، والرمي، والذبح، وغير ذلك، وقال الأزهري: الشعائر: المعالم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام عليها، ومنه سُمى المشعر الحرام؛ لأنه معلم للعبادة وموضع، ومنه حديث زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ:" جاءني جبريل، فقال: يا محمد، مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنها من شعار الحج... ومنه: (إشعار البدن)، وهو أن يشق أحد جنبتي سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك علامة تعرف بها أنها هدى. اهـ بتصرف (النهاية في غريب الحديث: ٤٧٩/٢)

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة:١٥٨)

وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (الحج:٣٦)

وقال الإمام القرطبي-رحمه الله- في تفسيره: ١١/٦١ عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: والشعائر جمع شعيرة، وهو كل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم، ومنه شعار القوم في الحرب: أي علاماتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة، وهو الطعن في جانبها الأيمن حتى يسيل الدم، فيكون علامة، فتسمى شعيرة، بمعنى المشعورة، فشعائر الله: أعلام دينه، لا سيما ما يتعلق بالمناسك ..... وأضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث:" التقوى ها هنا وأشار إلى صدره ". (رواه الإمام مسلم)

١- انظر مناسك الحج والعمرة للقحطاني - رحمه الله -.

٣- الصلة بالله تعالى، والتقرب إليه، ومفارقة الأهل، والأوطان والعشيرة، لأداء الحج، وزيارة البيت العتيق، وهذا فيه فوائد عظيمة، ومنافع كثيرة، لا تحيط بها العبارة، لأنه في هذه العبادة: يركب الأخطار، ويقطع الطرق الطويلة، ويشق الأجواء يرجو رحمة ربه، ويخاف عقابه سبحانه وتعالى، فما أحراه بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، من المولى الكريم ﷻ.

ولا شك أن هذه العبادة شرع الله فيها: الإحرام، والتلبية، واجتناب كثير من العوائد، وكشف الرجل رأسه، وخلع ثيابه وإبدالها بالإزار والرداء، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، والمبيت بمزدلفة، ورمى الجمار، وحلق الرأس أو تقصيره، والتقرب إلى الله تعالى بذبح الهدايا والقرابين، وغير ذلك مما شرع الله في الحج، وكل ذلك تشهد العقول الصحيحة، والفطر السليمة المستقيمة بحسنه، وأنه لا حكمة فوق حكمة من شرعه (مجموع فتاوى ابن الباز: ٢/ ٢٣٤)

٤- ذكر الله- تعالى- في الأيام المعلومات: وهي عشر ذي الحجة وأيام التشريق، وهي من جملة المنافع للحج:

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج:٢٧،٢٨)

قال الإمام الشنقيطي- رحمه الله-: اللام في قوله: ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ هي لام التعليل، وهي متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الآية: أي أن تؤذن فيهم يأتوك مشاة، وركبانًا لأجل أن يشهدوا: أي يحضروا منافع لهم، والمراد بحضورهم المنافع: حصولها لهم.

(أضواء البيان: ٤٨٩/٥)

فقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾من المنافع الدينية.

قال العلامة ابن باز- رحمه الله- "في مجموع الفتاوى: ١٣٥/٥": "وعطفه على المنافع من باب عطف الخاص على العام. اهـ، ويعنى عطف الذكر على المنافع.

وقال العلامة السعدي- رحمه الله – وقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ وهذا من المنافع الدينية.(تيسير الكريم الرحمن ص٥٣٧)

ولا شك أن الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والدعاء على الصفا والمروة، والوقوف بعرفات ومزدلفة، ورمى الجمار، كل هذه من ذكر الله تعالى، ولهذا روي " **إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمى الجمار، لإقامة ذكر الله ﷻ** "، وهذا المعنى صحيح حتى ولو لم يصح فيه الحديث [١].

١- والحديث رواه الأمام أحمد في المسند برقم: ٢٤٣٥١ وأبو داود، برقم: ١٨٨٨، والترمذي، وقال: " هذا حديث حسن صحيح " برقم: ٩٠٢ وغيرهم، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ص١٤٨، وحسن إسناده عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، ٢١٨/٣، وقال الأعظمي في تحقيقه لصحيح ابن خزيمة، ٢٢٢/٤: "إسناده صحيح "

٥- اتصال المسلمين بعضهم ببعض وتعاونهم في مصالحهم:

لا شك أن من فوائد الحج اتصال المسلمين من غير أقطار الأرض في مواسم الحج، فيحصل بذلك الخير الكثير، والتشاور في كثير من أمورهم، وتعاونهم في مصالحهم العاجلة والآجلة، واستفادة بعضهم من بعض، وتوحيد كلمتهم على الحق، وكل ذلك من جملة منافع الحج التي أشار إليها تعالى بقوله: {لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} (الحج: ٢٨)

٦- السلامة من الفقر لمن تابع بين الحج والعمرة:

قال رسول الله ﷺ: " تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ....." (رواه الترمذي والنسائي)

وهذا من المنافع؛ فإن المتابعة بين الحج والعمرة يزيلان الفقر.

قال العلامة المباركفوري-رحمه الله-: " ينفيان الفقر: أي يزيلانه، وهو يحتمل الفقر الظاهر بحصول غني اليد، والفقر الباطن بحصول غني القلب ". (تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي: ٣/٥٣٩)

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢،٣)

٧- أرباح التجارة التي تحصل للحاج إذا أراد البيع والشراء شريطة ألا يشغله هذا عن حجه:

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (البقرة:١٩٨)

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: كانت عكاظ ومجنة، وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فَتَأَثَّمُوا [١] أن يتِّجروا في المواسم، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج.

(رواه البخاري في كتاب التفسير)

- وروي الإمام الطبري في تفسيره: ٤/١٦٢ رقم (٣٧٦١) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: " لا حرج عليكم في الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده ".

- وقال الإمام الطبري- رحمه الله -أيضا في قوله تعالى: {لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}

اختلف أهل التأويل في معني المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم. هي التجارة، ومنافع الدنيا وقال آخرون: هي الأجر في الآخرة، والتجارة في الدنيا ..... وقال آخرون: بل هي العفو والمغفرة، ..... وأولي الأقوال بالصواب قول من قال: عني بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم ويتأتى له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئًا من منافعهم بخير ولاعقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت ". (تفسير الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن: ١٨/٦١٠)

١- فتأثموا: خافوا أن يرتكبوا إثمًا بتجارتهم.

٨- إظهار التذلل لله- تعالى- والخضوع له- سبحانه-:

وذلك لأن الحاج والمعتمر يرفض أسباب الترف والتزين، والتطيب، ويلبس ثياب الإحرام مظهرًا فقره لربه، متجردًا عن كل ما يشغله ويصرفه عن مولاه، فيتعرض بذلك لمغفرته سبحانه، ثم يقف الحاج في عرفة متضرعًا، متذللًا، حامدًا شاكرًا لربه، ومستغفرًا لذنوبه وعثراته، سائلًا ربه ما يحتاجه في دنياه وأخراه، وفي طوافه بالبيت العتيق يلوذ بالله ويلجأ إليه من ذنوبه، ومن هوى نفسه والشيطان ووساوسه.

(الموسوعة الفقهية: ٢٦/١٧)

٩- أداء الشكر لله- تعالى-:

فإن في الحج يؤدى العبد بعض الشكر لسلامة البدن من العوارض المانعة من الحج وغيره، وشكر نعمة المال، وشكر نعمة الفراغ، وشكر نعمة الحياة، وشكر نعمة القوة والشباب، وهذه النعم من أعظم ما يتمتع به الإنسان من نعم الدنيا؛ لأن الإنسان بهذه النعم: يجهد نفسه، وينفق ماله؟، ويشغل وقته، ويغتنم حياته وقوته، في طاعة ربه، والتقرب إليه سبحانه وتعالى، ***وقد قال النبي*** ﷺ: " **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** ". (رواه البخاري)

وقال ﷺ: " **اغتنم خمس قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**". (رواه الحاكم وهو في صحيح الجامع: ١٠٧٧)

ومعلوم أن شكر الله تعالى على نعمه من أعظم العبادات التي ينال بها العبد الثواب والزيادة من فضل الله ﷻ **قال الله تعالى:** ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧)

١٠- الحج أعظم مؤتمر بشري تجتمع كلمة أصحابه الصادقين على البر والتقوى:

فيجتمع المسلمون من أقطار الأرض في مركز اتجاه أرواحهم، ومهوي قلوبهم، فيتعرف بعضهم على بعض، ويألف بعضهم بعضًا، فتذوب الفوارق بين الناس: فوارق اللون والجنس، وفوارق اللسان واللغة، وفوارق الغني والفقر، وفوارق الجاه والسلطان: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣)

وهذا كله يبين أن الحكمة لمشروعية الحج: إظهار العبودية لله- تعالى-، وأن الحج يشتمل على حِكم جليلة، كثيرة، وفوائد عديدة، تدركها العقول الصحيحة، والفطر السليمة، وتشمل حياة المسلم: الروحية والمالية، والجسدية، ومصالح المسلمين، في الدين والدنيا. (الموسوعة الفقهية: ٢٦/١٧، ٢٧)

١١- التعلم، والتعليم، ونشر الدعوة والخير بين الناس في المواسم:

الحجاج جاءوا من كل فج عميق؛ ليؤدوا هذا الواجب العظيم؛ وليستفيدوا من حجهم أنواعًا من الطاعات لله تعالى، والمشاعر المقدسة يلتقي فيها أولياء الله، والعلماء من أقطار الأرض، فيستفيد العالم والمتعلم: يستفيد العالم بنشر علم الكتاب والسنة في هؤلاء الجموع الكثيرة، وتعليمهم ما يجب عليهم، وتحذيرهم مما يضرهم، وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوسهم. ويستفيد الراغب في الخير: من العلماء والدعاة إلى الله -عز وجل-، من حلقات العلم في المسجد الحرام وفي المشاعر المقدسة. (مجموع فتاوي بن باز: ١٩٤/٥)

ولا شك أن هذا من التزود بالتقوي التي هي خير زاد، كما قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧)

فيدخل في ذلك الاستفادة من العلماء الربانيين، ويدخل في ذلك تعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالأسلوب الحسن، والحكمة والموعظة الحسنة.

(انظر مجموع فتاوى ابن باز: ١٦٧/١٦)

كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)

- ***قال الشيخ ابن باز-رحمه الله-:*** وكل ما يفعله الحاج: من طاعة الله ونفع لعباده، مما ذكر ومما لم يذكر، كله داخل في المنافع، وهذا من حكمة الله في إبهامها حتى يدخل فيها كل ما يفعله المؤمن والمؤمنة، من طاعة لله، ومن نفع لعباده، فالصدقة على الفقير منفعة، وتعليم الجاهل منفعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منفعة، وفي الدعوة إلى الله منافع عظيمة، والصلاة في المسجد الحرام منفعة، وكل ما تفعله مما ينفع الناس من قول، أو فعل، أو صدقة، أو غيرها مما شرعه الله تعالى أيضًا داخل في المنافع، فينبغي للحاج أن يستغل هذه الفرصة العظيمة [١]". (مجموع فتاوى ابن باز: ١٧٠/١٦)

١٢- الحج يُذكر المسلم بالموت والانتقال إلى الآخرة:

وذلك إذا تجرد الحاج من ثيابه، ولبس الإحرام الذي يشبه الأكفان، ورأي: بأن الرئيس والمرءوس، والملك، والوزير، والغني، والفقير، والعربي، والأعجمي، والأسود، والأبيض، والصغير، والكبير، كلهم لباسهم واحد، ولا فرق بينهم في ذلك، وهذا يذكر بخروج الإنسان من الدنيا، ولا يحمل معه إلا هذه الأكفان، التي تبلي بعد ذلك سريعًا. **قال الله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام: ٩٤)

١- من أراد المزيد من منافع الحج ومقاصده، وفوائده، وحكمه، وأهدافه، فليرجع إلى تفسير الطبري: ٦٠٣/١٨، تفسير القرطبي١٨٤/٣، تفسير ابن كثير: ١٤٤/١٠، أضواء البيان: ٤٨٩/٥، مجموع الفتاوي لابن باز: ٢ /٢٣٤ .

١٣ - الحج يُذكر بيوم القيامة:

لأن الحاج إذا رأي جموع الحجاج قد جاءوا من كل فج عميق، ومن كل طريق بعيد، واجتمعوا للطواف بالبيت العتيق، وانصرفوا من اجتماعهم بعد الصلوات، يذكر بهذا الاجتماع، وهذا الانصراف يوم القيامة، وانصراف الناس بعد ذلك **كما قال الله تعالى:** ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٦-٨)

وكذلك الطواف بين الصفا والمروة، وزحام الناس في الدخول من الأبواب والخروج يذكر بيوم القيامة.

وكذلك اجتماع الحجاج في عرفة في صعيد واحد، في يوم واحد، بلباس واحد، بأعداد كثيرة هائلة يذكر المسلم بيوم القيامة، واجتماع الناس جميعا في عرصات القيامة، لا ينفعهم إلا ما قدموا، في هذا اليوم العظيم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فإذا رأى المسلم العاقل هذه الجموع ذكره بهذا اليوم العظيم، ولان قلبه واستعد للقاء الله تعالى. والله المستعان.

أعمال تعدل أجر الحج

فيامن تحترق قلوبهم شوقًا إلى بيت الله الحرام، وتذرف دموعهم كلما جاء موعد الحج، فتراهم لا يهنؤوا بطعام، ولا يغمضوا بمنام.

فقد تعلقت قلوبهم ببيت محبُوبِهم، وكلما ذُكِرَ لهم ذلك البيت حَنّوا، وكلما تذكروا بعدَهم عنه أنُّوا، وقد علم الله هذا من حالهم فمنَّ عليهم بأعمال تثلج صدورهم، وتطفئ نار الشوق والحنين إلى زيارة بيته الحرام، فشرع لهم من الأعمال ما يعطيهم به أجر الحُجَّاج والعُمَّار، وهذه الأعمال كالماء البارد على الظمأ، وهي البلسم الشافي والدواء الكافي، التي تروي غليل القلوب المشتعلة؛ شوقًا لرؤية البيت العتيق ومسجد الحبيب ﷺ.

وإليك طرفًا من هذه الأعمال: -

١ - أداء الصلاة المكتوبة في المسجد:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة الباهليﷺ أن النبي ﷺ قال: " مَن مشى إلى صلاة مكتوبة في الجماعة فهي كحجة، ومَن مشى إلى صلاة تطوع [١] فهي كعمرة نافلة ".

(صحيح الجامع:٦٥٥٦)

– **وفي رواية:** " من خرج من بيتِه مُتطهّرًا إلى صلاةٍ مكتوبةٍ فأجرُه كأجرِ الحاجِّ المحرِمِ ، ومن خرج إلى تَسبيحِ الضُّحى لا ينصبُه إلا إياه ، فأجرُه كأجرِ المعتمرِ ، وصلاةٌ على إثرِ صلاةٍ ، لا لغوَ بينهما كتابٌ في عِلِّيِّينَ ". (صحيح الترغيب: ٣٢٠)

فلا تتعجب من هذا الأجر، ولكن العجب كل العجب على مَن يتوانى ويتكاسل عن هذا الأمر، وانظر عندما يخرج المسلمون من بيوتهم متطهرين لأداء الصلاة المكتوبة في جماعة في المسجد وفي وقت واحد، وهذا يشبه خروج الحجيج من بيوتهم متوجهين بقلوبهم وأبدانهم إلى البيت المعظم لأداء مناسك الحج.

فكما يجتمع الحجاج صغيرهم وكبيرهم لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء، كذلك في صلاة الجماعة يجتمع أغنى الناس إلى جنب أفقر الناس، والأمير إلى جنب المأمور، والحاكم إلى جنب المحكوم، والصغير إلى جنب الكبير... وهكذا؛ فيشعر الناس بأنهم سواء.

فكل مَن يحافظ على الصلوات يكون شريكًا للحاج يوم حجه، فأجره كأجر الحاج المُحرم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فما أعظم أن يُكتَب لك هذا الأجر بجانب شهادة الله لك بالإيمان، وكفى بشهادة الله شهادة، إذ شهد لمَن عمر المساجد بالإيمان، **فقال عزَّ شأنه:** ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ (التوبة:١٨)

٢ - حضور مجالس العلم في المسجد:

– **فقد أخرج الطبراني فى المعجم الكبير والحاكم عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال:** " مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٨٦)

---

١ - والمقصود بصلاة التطوع في الحديث: هي صلاة الضحى، ودليل ذلك ما رواه أبو داود من حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال:" مَن خرج من بيته متطهرًا إلى صلاة مكتوبة؛ فأجره كأجر الحاج المحرم، ومَن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه؛ فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين". (صحيح الجامع:٦٢٢٨)
والمقصود بتسبيح الضحى في الحديث هي صلاة الضحى، وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيح وسُبحة. وقوله "لا ينصبه": أي لا يتعبه ولا يزعجه ذلك.

٣- الجلوس بعد الفجر في المُصلَّى، وذكر الله- تعالى- حتى طلوع الشمس ثم تصلي ركعتين:

- فقد أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكُرُ اللهَ حتى تطلع الشمسُ، ثم صلى ركعتين؛ كانت له كأجر حَجَّةٍ وعمرةٍ، تامة، تامة، تامة ". (الصحيحة:٣٤٠٣) (صحيح الجامع:٦٣٤٦)

- وأخرج الطبراني في "الأوسط" بسند حسن حسنه الألباني عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال:

" كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الفجر لم يقم من مجلسه حتى تمكنه الصلاة، وقال: مَن صلَّى الصبح ثم جلس في مجلسه حتى تمكنه الصلاة كان بمنزلة عمرة وحجة متقبلتين ".

فإذا جلست عن هذا العمل الجليل وهو الحج وذلك لعذر فهاك الأجر، فلا يفتك الأجر إذا كنت صادق النية.

٤- صلاة العشاء في جماعة:

- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ:" أن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يُصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال النبي ﷺ: أَوَ ليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء في جماعة تعدل حجة، وصلاة الغداة في جماعة تعدل عمرة ".

٥- الأذكار بعد الصلاة:

- فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ:" أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المُقيم، يُصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال: يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، فقال ﷺ: ألا أُعلِّمكُم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين ".

- وفي رواية:" ألا أحدثكم بما لو أخذتم به لحقتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين ".

قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة ﷺ:" لما سُئِل عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثٌ وثلاثون".

٦- عمرة في رمضان:

فإن عجزت عن الذهاب إلى الحج لقلة النفقة فاجتهد أن تعتمر في رمضان فإن هذا فيه ما فيه من الأجر فهو يعدل كحجة مع النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" عُمرة في رمضان تعدل حَجّة ".**

- وأخرج البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يُقال لها أم سنان: **"ما منعك أن تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان [1] كانا لأبي فلان- زوجها-حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: فعمرة في رمضان تقضي حجَّة . أو حجَّة معي".**

- وفي رواية عند سمويه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" عُمرة في رمضان كحجة معي ".**

(صحيح الجامع:٤٠٩٨)

٧- بر الوالدين:

أخرج أبو يعلى بسند جيد أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: **" إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: قابل الله في برِّها، فإذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ".**

وعند الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس رضي الله عنه بلفظٍ آخر: **" أنه أتى رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أشتهي الجهاد وإني لا أقدر عليه، فقال له الرسول ﷺ:" هل بقي أحد من والديك؟ قال: أمي، فقال له رسول الله ﷺ: اتقِ الله فيها فإن فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد ".**

فلا عجب ولا غرور في ذلك، فأمتنا أمة مرحومة كتب الله عليها أعمال هي صغيرة في العمل، ولكنها كبيرة في الأجر، ككلمة "**آمين**" خلف الإمام، وك " ليلة القدر"، وكصيام يوم عرفة، وكصيام يوم عاشوراء، وكالذكر الذي هو غراس الجنة، وكالدعاء عند الانتهاء من الطعام، وكالسعي للجمعة ... وغير ذلك.

فإن عجزت أن تكون من وفد الرحمن في هذا العام فلا تعجز أن تتشبه بهم:

وانظر إلى قول النبي ﷺ الثابت في "صحيح مسلم" من حديث سعيد بن المسيب يقول سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول: قال رسول الله ﷺ: **" مَن كان له ذبح يذبحه، فإذا أهلَّ هلال ذي الحجة، فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئًا حتى يضحي ".**

وهذا فيه ما فيه من التشبه بالحاج؛ لتعيش ما يعيشه الحاج من روحانيات جميلة.

١- الناضح: الدابة يستقى عليها.

وإن عجزت أن تقدم الهدى في بيت الله الحرام فلا تعجز أن تقدمه كل جمعة:

– *فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " مَن اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومَن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومَن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومَن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر ".

وإن عجزت أن تكون فيمن يباهي اللهُ بهم الملائكة هناك - أي في عرفة - فلا تعجز أن تكون ممن يباهي الله بهم الملائكة هنا في مجالس الذكر [1] :

– *فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال:* " خرج معاوية على حلقة في مسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ".

- **فكفى بالذكر شرفًا أن الله ﷻ يباهي ملائكته بأهله كما يباهي الملائكة بالحجاج.**

– *فقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال:* " إن الله ﷻ يباهي بالحاج الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا من كل فجٍّ عميق، أشهدكم أني قد غفرتُ لهم ".

---

١ - المقصود بمجالس الذكر: مجالس العلم، كما قال القرطبي- رحمه الله -: مجلس الذكر يعنى مجلس علم وتذكير، وهي المجالس التي يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ﷺ، وأخبار السلف الصالح، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة من التصنع والبدع، والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع.
وقال عطاء- رحمه الله-: إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تبيع وتشترى وتصلى وتنكح وتطلق وتحج .... وأشباه ذلك.

فإن عجزت أن تكون فيهم - أي في الحُجَّاج- فلا تعجز في أن تجتهد في الأيام العشر الأُول من ذي الحجة:

فإن هذه الأيام المباركات أفضل أيام الدنيا، وهي من النفحات الربانية على الأمة المحمدية، وهي من مواسم الخيرات التي تتفاضل فيه الأعمال وتزداد، وهي أيام يشترك فيها القاعدون والسائرون إلى البيت العتيق، فمَن عجز عن الحج فإنه يقدر أن يعمل أعمالًا وهو في بيته أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

– ***فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس . رضي الله عنهما . أن النبي ﷺ قال:*** **" ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام (يعني الأيام العشر)، فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلًا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ".**

– ***وقد مرَّ بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:***

"سُئل رسولُ الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور ".

فقدَّم الجهاد على الحج في الفضل، وفي هذه الأيام العمل فيها أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

– ***فيا أيها الأحبة...*** من بَعُدَ منكم عن حرم الله فلا يُبْعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله، فإن رحمة الله قريب ممن تاب لله واستغفر.

– ومَن عجز عن حج البيت، أو البيت منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه من دعاه ورجاه أقرب إليه من حبل الوريد.

– ومَن فاته في هذا العام القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرفه.

– ومَن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليُبَيِّت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه.

ومَن لم يقدر على نحر هديه بمنى، فليذبح هواه هنا وقد بلغ المُنى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١).

رأي بعض الصالحين الحُجَّاج في وقت خروجهم، فوقف يبكي ويقول:" واضعفاه...! ثم تنفَّس وقال: هذه حسرة مَن انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة مَن انقطع عن الوصول إلى رب البيت ".

ثانيا: فضل العمرة:

أخرج البزار عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الحُجَّاج والعُمَّار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم ". (الصحيحة: ١٨٢٠) (صحيح الجامع: ٣١٧٣)

- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:* " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ".

- *ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٠٥) (صحيح الجامع:٢٩٠١)

- *وفي رواية عند الطبراني في الأوسط عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ* " أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد ". (الصحيحة: ١٠٨٥) (صحيح الجامع: ٢٥٣)

- الأجر في العمرة والحج يكون بقدر التعب والإنفاق.

- *فقد أخرج الحاكم في المستدرك من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال لها في عمرتها* " إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك ". (صحيح الجامع: ٢١٦٠)

- *وفي رواية* " إنما أجرك في عمرتك على قدر نفقتك ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١١١٦)

عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي -صلى الله عليه وسلم-:

- *فقد أخرج البخاري من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " عمرة في رمضان تعدل حجة ".

- *وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-:* أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها أم سنان: ما منعك ان تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان كانا لأبي فلان- زوجها- حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، فقال ﷺ: فعمرة في رمضان تقضي حجة - أو حجة معي- ".

- *وأخرج أبو داود من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال:* أراد رسول الله ﷺ الحج فقالت امرأة لزوجها أحْجِجْني مع رسول الله ﷺ، فقال: ما عندي ما أحجك عليه، فقالت: أحْجِجْني علي جملك فلان، قال: ذاك حبيس في سبيل الله ﷻ فأتي رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي تقرأ عليك السلام ورحمة الله، وإنها سألتني الحج معك فقلت: ما عندي ما أحجك عليه، قالت: أحججني على جملك فلان، فقلت: ذاك حبيس في سبيل الله، فقال: " أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله " قال: وإنها أمرتني أن أسألك ما يعدل حجة معك ؟ قال رسول الله ﷺ: " أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته، وأخبرها أنها تعدل حجة معي عمرةٌ في رمضان ". (صحيح الترغيب: ١١١٧) (صحيح أبي داود: ١٧٥٣)

- ***وفي لفظ في الصحيحين أيضا:*** " عمرة في رمضان تعدل حجة – أو حجة معي– ".

- ***وفي لفظ مسلم:*** " فإذا جاء رمضان فأعتمري فإن عمرة في رمضان تعدل حَجَّة ".

- ***وفي رواية عند سمويه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " عمرة في رمضان كحجة معي ".

(صحيح الجامع: ٤٠٩٨)

- ***وأخرج البزار والطبراني من حديث أبي طليق ﷺ*** أنه قال للنبي ﷺ: فما يعدل الحج معك قال ؟:" عمرة في رمضان ". (إسناده جيد)

- ***وأخرج ابن حبان من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:*** جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: حج أبو طلحة وابنه وتركاني، فقال: " يا أم سليم عمرة في رمضان تعدل حجة معي ".

(صحيح الترغيب: ١١١٨)

وأخرج أبو داود والنسائي من حديث أم معقل –رضي الله عنها–: أنها قالت: يا رسول الله إني امرأة قد كبرت وسَقِمْتُ فهل من عمل يجزي عني من حجتي؟ قال: "عمرة في رمضان تعدل حجة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١١٢٠) (صحيح أبي داود: ١٧٥١)

- ***وفي رواية عند أبي داود أيضًا عن أم معقل –رضي الله عنها– قالت:*** " لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان لنا جمل فجعله أبو معقل في سبيل الله قالت: وأصابنا مرض وهلك أبو معقل، قالت: فلما فعل رسول الله ﷺ من حجه فقال: يا أم معقل ما منعك أن تخرجي معنا؟ قالت: يا رسول الله لقد تهيأنا، فهلك أبو معقل وكان لنا جمل هو الذي نحج عليه فأوصي به أبو معقل في سبيل الله، قال: " فهلا خرجت عليه، فإن الحج في سبيل الله، فأما إن فاتتك هذه الحجة فاعتمري في رمضان فإنها كحجة ". (صححه الألباني في صحيح أبي داود: ١٧٥٢)

- ***وأخرج البزار والطبراني في الكبير عن أبي طليق ﷺ*** أن امرأته قالت له، وله جمل وناقة: أعطني جملك أحج عليه، قال: هو حبس في سبيل الله، قالت: إنه في سبيل الله أن أحج عليه . قالت: فأعطني الناقة وحج على جملك، قال: لا أوثر على نفسي أحدًا، قالت: فأعطني من نفقتك، قال: ما عندي فضل عن ما أخرج به وأدع لكم، ولو كان معي لأعطيتك، قالت: فإذا فعلت ما فعلت فأقرئ رسول الله ﷺ السلام إذا لقيته، وقل له الذي قلت لك، فلما لقي رسول الله ﷺ أقرأه منها السلام، وأخبره بالذي قالت له، فقال رسول الله ﷺ: ..... صدقت أم طليق، لو أعطيتها جملك كان في سبيل الله، ولو أعطيتها من نفقتك أخلفها الله لك " قلت: فما يعدل الحج معك، قال: عمرة في رمضان"

(السلسلة الصحيحة: ٣٠٦٩)

قال المناوي–رحمه الله– في" فيض القدير: ٣٦١/٤ ": أي تقابلها وتماثلها في الثواب، ولا تقوم مقامها في إسقاط الفرض ". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك